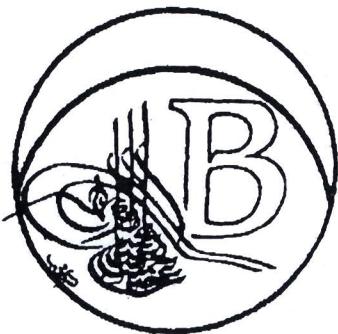


Le Conseil



REVUE DU

Conseil Supérieur des Musulmans de Belgique
Hoge Raad voor Moslims van België

المجلس الاعلى للمسلمين ببلجيكا

Belçika Yüksek İslâm Şurası

ACTES DU CONGRÈS DU 5.11.1994

n°3

Bruxelles, Rabî' al-Awwal 1415 - Janvier 1995



2. وقسم إبلاغي، تركز في أعمال اللجان التي استغرقت نصف زمن المؤتمر. فلشن كان التعبير الخطابي المشكّل للقسم الأول هو بمثابة الديباجة للمؤتمر، فإن القسم الثاني هو بمثابة الصدر من الجسم للمؤتمر، إن لم يكن لبّه وزبدة ثماره. وسيمه بالإبلاغي ليس بمحنا عن السجع، ولكن لأصف كنهه الذي تجلّى في التعبير العملي عن ما أرادت أن تبلغه لجان المؤتمر إلى قيادة المجلس من جهة، ولأبرز قصد تلك القيادة – على علوّ في النبرات حين الصياغة النهائية – في الصدّع بالخطاب الإبلاغي الذي توخته من عقد المؤتمر من جهة أخرى.

القراءة شمولية ونقية لأعمال المؤتمر الأول للمجلس الأعلى ل الإسلامي بلجيكا

أهداف المؤتمر

في ورقة التعريف بالمؤتمـر الموزـعة على الحضور، بررت اللجنة التحضيرية تحت عنوان "1994، ثم ماذا؟" عقد هذه النظـاـحة بمجموعـة من الدوافـع مـتـاثـرة العـرضـ، نـسـطـلـعـ أنـ نـسـتـشـفـ فـحـواـهاـ منـ سـيـاقـ نـصـ الـورـقةـ التـالـيـ :

"في الوقت الذي تمر فيه عشرة سنـة على الاعتراف بالدين الإسلامي بـلـجيـكاـ، كانـ منـ حقـ جـالـياتـ آـنـ تـقـفـ وـقـةـ لـتـأـمـلـ فـيـ وـقـعـ حـاضـرـهاـ، وـأـمـالـ مـسـتـقـبـلـهاـ، وـلـتـظـرـ فـيـماـ تـمـ تـحـقـيقـهـ وـمـاـ لـمـ يـتـمـ."

إن التـحدـيـاتـ التيـ تـواجهـ الـحـالـيـةـ كـثـيرـةـ وـمـتـشـبـعـةـ فـيـ وـقـعـ حـيـاةـ أـفـرـادـهاـ أوـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـعـلـاقـاتـهاـ مـعـ الآـخـرـينـ بـالـجـمـعـيـيـكـيـ،ـ والمـجـلـسـ الأـعـلـىـ لـالـمـسـلـمـيـنـ بـلـجيـكاـ،ـ فـيـ نـطـاقـ التـعـهـدـ بـمـسـؤـولـيـتـهـ،ـ يـدـعـوـ كـافـةـ الـمـسـلـمـيـنـ عـلـىـ اـخـتـالـفـ جـنـسـيـاتـهـمـ لـلـتـبـاحـثـ وـلـلـتـشـاـورـ لـمـواـجـهـةـ هـذـهـ التـحدـيـاتـ بـكـلـ مـوـضـوعـيـةـ وـفـيـ جـوـ خـارـجـيـ."

فـهـذـاـ التـعبـيرـ المتـاثـرـ فيـ وـرـقـةـ التـعـرـيفـ عنـ الدـوـافـعـ،ـ يـمـكـنـنـاـ منـ الجـرأـةـ دونـ خـوفـ عـلـىـ تـحـدـيدـ وـتـرـتـيـبـ أـهـدـافـ المـؤـتمـرـ عـلـىـ النـحوـ التـالـيـ :

- التـبـاحـثـ وـالـتـشـاـورـ لـمـواـجـهـةـ التـحدـيـاتـ.
- التـأـمـلـ فـيـ الـوـاقـعـ الـحـاضـرـ.
- الـمـقـارـنـةـ بـيـنـ مـاـ أـنـجـزـ وـمـاـ لـمـ يـنـجـزـ.
- اـسـتـشـرـافـ الـمـسـتـقـبـلـ وـتـأـمـلـ مـالـهـ.

بلـ هيـ فـيـ خـلاـصـةـ الـأـمـرـ غـايـاتـ تـرـكـزـتـ فـيـ هـدـفـ وـاحـدـ هوـ التـبـاحـثـ وـالـتـشـاـورـ بـيـنـ مـخـلـفـ الـعـنـاصـرـ الـفـاعـلـةـ فـيـ سـاحـةـ الـدـيـانـةـ الـإـسـلـامـيـةـ بـلـجيـكاـ لـمـواـجـهـةـ تـحدـيـاتـ كـثـيرـةـ وـمـتـشـبـعـةـ يـقـرـرـ المـؤـتمـرـ تـحـقـيقـهـ مـنـ خـلـالـ إـعـمـالـ التـأـمـلـ فـيـ الـوـاقـعـ الـحـاضـرـ،ـ وـالـإـقـدـامـ عـلـىـ الـمـقـارـنـةـ بـيـنـ مـاـ أـنـجـزـ وـمـاـ لـمـ يـنـجـزـ،ـ وـالـسـيـرـ عـلـىـ خـطـىـ صـنـاعـةـ الـغـدـ وـاسـتـشـرـافـ الـمـسـتـقـبـلـ وـالـتـعـمـنـ فـيـ الـمـالـ،ـ مـعـ مـصـاحـبـةـ كـلـ ذـلـكـ بـمـاـ يـلـزـمـ مـنـ الـاحـرـامـ الـجـمـاعـيـ لـلـمـوـضـوعـيـةـ وـالـشـفـافـيـةـ،ـ وـضـمـانـ الـنـاخـ الـرـحـبـ مـنـ الـحـرـيـةـ،ـ وـسـيـادـةـ الـأـلـفـةـ وـالـأـخـوـةـ.

محمد برييش

خبير في الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية
باحث في مآلات العالم الإسلامي

عقد "المجلس الأعلى ل الإسلامي بلجيكا" في الخامس من نوفمبر 1994 مؤتمره الأول تحت شعار "عشرون سنة من الإسلام في بلجيكا : الحصيلة والآفاق". وتم ذلك في أحد كبرى الفنادق بمدينة بروكسل (Royal Crown) طيلة اليوم من التاسعة صباحاً إلى قرابة الثامنة مساءً.

أما برنامج المؤتمر فكان ماهيته، كغيره من المؤتمرات ذاتمضمون السياسي أو التنظيمي، سيراً عومـاً من المنطـوقـ، فـجـرـ بـفـعـلـ مـخـلـفـ الـقـرـاءـاتـ الـيـخـضـعـ لـهـ حـيـنـهـ سـيـولاـ جـارـفةـ منـ الـمـفـهـومـ،ـ بـشـكـلـ أـضـحـتـ عـمـهـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـمـنـطـوقـ وـالـمـفـهـومـ مـتـعـدـدـ الـاتـجـاهـاتـ،ـ تـمـيلـهـاـ بـشـبـهـ التـسـلـسلـ وـالـتـشـابـكـ وـالـعـدـدـ أـشـكـالـ وـأـنـوـاعـ الـمـوـاقـفـ الـمـتـنـاقـضـةـ لـلـتـركـيـاتـ الـمـشـرـبـةـ خـوـ الزـعـامـةـ الـدـيـنـيـةـ فـيـ الـبـلـجـيـكـيـةـ(1)،ـ أوـ تـلـكـ السـاعـيـةـ مـنـهـاـ لـكـسـبـ الشـهـرـةـ وـالـأـنـصـارـ مـنـ خـلـالـ الـمـوـقـفـ مـنـ سـاـيـقـاتـهـ تـأـيـداـ أوـ تـحـفـظـاـ أوـ مـعـارـضـةـ أوـ مـغـازـلـةـ،ـ أـيـاـ كـانـ ثـوبـهاـ الـدـينـيـ،ـ أـوـ لـونـهاـ الـإـيدـيـولـوجـيـ.

وـأـمـاـ مـضـمـونـهـ،ـ فـيمـكـنـ تقـسيـمـهـ – دونـ كـلـمـاتـ الـافتـتاحـ وـالـاخـتـامـ – إـلـىـ قـسـمـيـنـ:

1. قـسـمـ خطـابـيـ،ـ اـعـتـلـىـ فـيـ مـنـصـةـ الـمـؤـتمـرـ مـعـبـرـونـ عـنـ اـرـتسـامـاتـ وـتـطـلـعـاتـ فـقـاتـ الـجـالـيـةـ الـمـسـلـمـةـ،ـ مـوزـعـةـ التـمـثـيلـ حـسـبـ أـصـولـ الـأـنـدـارـهـ الـجـعـرـافـيـ،ـ ليـتـلـوـهـ بـالـتـعـاقـبـ مـثـلـوـنـ عـنـ الـهـيـاـتـ الـدـيـنـيـةـ وـالـأـحزـابـ الـسـيـاسـيـةـ الـيـتـبـتـ الدـعـوـةـ لـلـتـصـرـيـحـ مـاـ أـمـكـنـ بـالـمـلـوـافـقـ،ـ وـالـإـدـلـاءـ بـالـتـأـيـدـ أوـ الـجـاـمـلـةـ أوـ الـتـحـفـظـ،ـ لـتـتـهـيـ حـرـكـةـ نـهـرـ الـخـطـبـ الـمـتـدـفـقـ عـرـبـ الـنـصـةـ فـيـ فـرـتـهـاـ الـصـابـاحـيـةـ عـلـىـ شـلـالـاتـ تـصـرـيـحـاتـ وـوـصـاـيـاـ مـنـ دـعـاهـمـ مـنـظـمـوـ الـمـؤـتمـرـ بـشـهـداءـ الـأـمـتـيـازـ،ـ لـيـلـدـلـواـ بـشـهـادـاتـهـمـ،ـ وـيـسـاـمـهـواـ فـيـ إـثـرـاءـ مـنـاقـشـاتـ الـمـؤـتمـرـ بـرـؤـاهـمـ وـمـلـاحـظـاتـهـمـ.

مظايف المؤتمر

أ- في البعد كان الافتتاح

- الإسهام في ترسیخ مرتکرات الحرية والعدل التي نُسج حولها التالف الديني والتآزر القومي في الوطن البلجيكي.
- السهر على احترام مكونات المجتمع البلجيكي.

2. الثانية عرض تجربتي لأهم ما حققه المجلس، أبرز ما جاء فيه لمحات عن كبرى المنجزات وأهم العلاقات نلخصها كالتالي :

* متابعة المجلس عبر هياته المركزية والإقليمية لشئون الإسلام بكافة القطر البلجيكي.

* إقدام المجلس على تشخيص الواقع الحالي للمسلمين وتحديد حاجياتهم من الجانب الديني.

* تميّز نشاط المجلس في كل حركاته واتصالاته المكثفة بسلوك رصين نابع من رغبته المستديمة في الحوار. وهذا لم تقطع صلته بالأطراف المعنية حكومية وغير حكومية.

* مشاركة المجلس في "اللجنة التقنية لتعيين أستاذة تعليم الديانة الإسلامية"، حيث عاينت السلطات عن كثب كيف استطاع أعضاؤه في هذا المجال أن يحققوا بمحاجة ملموساً جعل المجلس يحصل على احترام من طرف الجميع.

* اهتمام المجلس المتزايد بقضايا المرأة المسلمة، وأن في النية تكوين هيئة نسوية داخل المجلس للإشراف على قضايا المرأة.

* وكيل هيئة تسعى لإبلاغ صوتها، والإخبار عن نشاطاتها، قِيَام المجلس بإصدار مجلة سماها "المجلس" (Le Conseil)، كما تناصها كذلك ترجمة أخرى للإسم بمعنى "النصححة".

3. الثالثة لمحات عن الغاية من عقد المؤتمر، إذ أشار سعادة الرئيس أن أمل المجلس من عقد هذه التظاهرة هو بالأساس الوصول إلى ما يسمح بتهيئة المناخ لتمثيل المسلمين من خلال محورين :

- القصد لوحدة المسلمين.
- العمل على احترام الحساسيات.

مشيراً إلى أن الأمل عريض فيما يتعلق بالاعتراف بممثل جماعة المسلمين، وللمحاجة بأن المجلس قد توصل برسالة في نفس يوم المؤتمر من وزارة العدل البلجيكية، تشجّع على الحوار، وتفتح آمالاً للمستقبل.

أما خاتمة عرض الرئيس فتحلت في شكر وسؤال. فأما الشكر فللحضور على تلبية الدعوة من جهة، ولللجنة التحضيرية للمؤتمر على الجهود المبذولة والجهد المتواصل على ضمان حسن سير أعمال المؤتمر من جهة أخرى. وأما السؤال فموّجه ضمنياً للسلطات البلجيكية عبر "شبه مثليها" الحاضرين في المؤتمر،

افتُتحت أشغال المؤتمر بآيات بينات من الذّكر الحكيم، تناول بعدها الكلمة السيد أبو بكر نكادي عضو اللجنة التحضيرية للمؤتمر، لينُوه بالحضور، ويُسرد على مسامعه لائحة بأسماء الشخصيات الدينية والسياسية والفكرية المشاركة منها والحاضرة، ليُعقبها بلا تحدّي آخر لشخصيات مماثلة أبلغت رئاسة المؤتمر ببريديا أو برقياً أو هاتفياً بتشجيعها أو تأييدها أو اعتذارها، خاتماً تدخله بالتطّرق لتفاصيل برنامج المؤتمر.

بعد شكليات البروتوكول السابقة، تقدّم للمنصة رئيس "المجلس الأعلى لمسلمي بلجيكا" الدكتور ياسين بيأنس (Dr Yacine BEYENS) مرحبًا بالحضور في كلمة افتتاحية، ومقدّماً بإيجاز عرضاً لا نراه يخرج عن تناول مرتكز لثلاث نقاط:

1. الأولى تقييم تاريخي للفترة السابقة من مسار الإسلام ببلجيكا ونشاط المجلس من يوم انطلاقه. أهم ما جاء فيه تشخيص لواقع تلك الفترة الشديدة التمزّق، المتميّزة بدءاً بمخاض الولادة، وختّما باقتناص أطراف حكومية وسياسية أن للمولود في مجال اختصاصاته نوعاً من الكفاءة والريادة.

أما تشخيص طيبينا الحكيم فهو نتائج ثلاثة، الأولى جزم بفشل علاج سابق. والثانية تأكيد على شرط أساس لكل علاج لاحق. والثالثة تنويه بنشاط المجلس المتميّز بالقول والعمل الصادق.

* فأما النتيجة الأولى فجزم بأن وصفة "الحكماء" لمعالجة قضايا الإسلام قد ظهر فشلها، وأجمع النبهاء على بطلان علاجها.

* وأما الثانية فتأكيد بأن حُسن المعالجة لأمور الإسلام في خصوصياته البلجيكية، ملزم بتجنب الخلط الحاصل في موضوع تمثيل المسلمين - سواء لدى مسؤولي الدولة أو لدى أفراد الملة - بين مشاكل الهجرة وقضايا الإسلام.

* وأما الثالثة فتنوية بنشاط المجلس الذي استطاع على ضعفه أن يتميّز عن غيره بالقول والعمل الصادق. صدق في القول لأن المجلس يسعى لخدمة المسلمين ببلجيكا ولا يهدف بتاتاً للبلحة الإسلامية. وصدق في العمل لأن المجلس يسير بحسب الخطى نحو غایات ثلاثة :

- رعاية حقوق المسلمين العبادية (droits cultuels)، والاستجابة لمطالبهم الدينية داخل التراب البلجيكي. ومن تم سد الفراغ في غياب مثل للديانة الإسلامية.

نوعاً من التألف والتآزر تبني به درجات التوحُّد المحقق للكسب السياسي، والدافع جهة حسن الاستفادة والتنظيم على الصعيد الاجتماعي.

وانطلاقاً من تلك الخاصية الثابتة، لم ينفع أنفسنا من استعمال مصطلحات لم ينطق بها أحدٌ في دوليب المؤتمر، ولكن كباحث في علم الاجتماع الديني، أبقى كغيري من الباحثين صاحب حرية في اختيار المفاهيم والمصطلحات التي أرها دالة على المقصود، مقربة لواقع المؤتمر المشهود.

من تلك المصطلحات مصطلح "التمثيل الفشوي"، أي التمثيل حسب الجذور الجغرافية للهجرة. فما دمنا نتكلّم عن الجالية المسلمة بالفرد، فإن هذه الجالية - التي هي في الحقيقة حاليات مسلمة - تكون من فئات تجمع بينها وحدة الأصل واللغة والثقافة والعرف والتاريخ.

لم يكن هناك ذكر لظهير 1978، المطبق لقانون الاعتراف بالتدبیر الرسمي للقضايا الدينية للمسلمين الصادر سنة 1974، إلا إشارة طفيفة. فالمجلس نتيجة حتمية لإنزال ذاك الظهير حيّز التنفيذ، ولو بدون مباركة من الطرف الأساس : الجهات الحكومية.

وبالطبع لم نكن ننتظر من فاتحة المؤمن أن تتضمن عرضاً مفصلاً للتاريخ، ولا سرداً مدققاً للمواقف، ولكن نستوحى من عدم التركيز على ذلك الظهير ومضمونه - ليس فقط في الافتتاح، ولكن طوال أشغال المؤمن - أن هناك رغبة في تجاوزه، واعتزافاً ضمنياً بظروفه وقيود تاريخ إصداره. فالغاية منه ولادة جهاز يمثل المسلمين وقد كان، والحاضر يوجب الالتفات للمولود، لا يبقاء النظر شامخاً صوب عيادة الولادة. كما يستوجب تجاوز ظروف المخاض وتحطيمها إلى النظر في متطلبات الحضانة الحكومية، التي بدونها يفقد المولود كيانه الطبيعي ومنزله الشرعي. فحقيقة ذلك الكيان التمثيل الرسمي للMuslimين لدى الدولة، وكنهي السهر على قضايا الدين الإسلامي وتداريب أموره من المال العام. غياب الرّضا الحكومي إن كان لا يعرض المولود للاغتيال، فإنه يجعله يتيم الاعتراف الرسمي، مبتور الهوية "الشرعية".

والمقصود بالشرعية هنا تلك المباركة التي تضفيها الحكومة، ومعرفتها تقتضي قراءة قانون 1870 الأصلي، الذي عدّل جزءاً الثالث قانون 1974، بما يلزم من التحليل التاريخي، والتصرّف في الصراع الثقافي والإيديولوجي زمانئذ. ثم العكف بعد ذلك على دراسة القانون المعديل له سنة 1974، وتحليل ظروف دوافع صدوره، واستخلاص المقاربة الشكلية التي ساهمت في صياغته بين "مؤسسة الكنيسة" و"مؤسسة المسجد" من جهة، وبين شخصية ومهام "القس" في النظام الكنسي، وشخصية ومهام "الإمام"⁽³⁾ في النظام الإسلامي من جهة أخرى، وغير ذلك من عمليات التقرير والتغليب التي خضعت لها أذهان المشرع حين معالجته لتطور جديد طرأ على الساحة، مثلاً في دخول الإسلام

ذلك مضمون ما قدمه الدكتور الرئيس، وإن كان لنا من تعقيب فملحوظات ثلاثة :

لقد أشار سيادة الرئيس في كلمته الافتتاحية إلى ضرورة عدم الخلط بين قضايا الهجرة وقضايا الإسلام، ويقى تفيذ هذا الانفصام بينهما هو العقدة المستعصية على الحل. فهناك التحام بينهما لا يمكن إنكاره، كما أن هناك بداية انفصام تدريجي بفعل الزمن من الغفلة نكرانه. وما تباري المثلين لكل فئة حسب موارد الهجرة الجغرافية على منصة الخطابة في الحصة الأولى للمؤتمر إلا دلالة على ترابطٍ يقوى ويضعف بين قضايا الهجرة وقضايا الإسلام.

وحتى لا نذهب بعيداً بالخيال، أو نحجز واسعاً بالحكم السريع بالمحال، لنتنظر إلى الولايات المتحدة التي هي في شكلها الحالي نتاج تاريخ هجرة مكثفة من ثقافات متعددة المشارب، مختلفة الثقافة، لكن يجمع بينها على ذلك التعدد تماثل في التاريخ، وتقابُل في العقيدة، ووحدة في المصير.

فما زالت إلى اليوم - رغم الانصهار التاريخي في شعب واحد متماثل التركيب من حيث العناصر الوطنية - فقات تعترض باتساعها القومي القديم. فهناك اللوبي الإيطالي، واللوبي السويسري، واللوبي الصيني، وغيرهم من التنظيمات ذات التزعة القومية التي، إن لم تبرز على السطح السياسي كتنظيم فوري، فإن لها من ترابط النسيج الثقافي والتآلف العرفي (وليس العرقي) ما يجعل لها عبر الأجيال حضوراً حياً عبر النشاط الخاص والمواسم الذاتية في حقول عدة من الثقافة والممارسة الدينية والاجتماعية، يمحسّه كل مطلع على مجتمعات تلك الديار عن قرب.

ولهذا نعتبر ارتباط الجالية المسلمة بمنورها وثقافاتها الأصلية زاداً يعني تراثها، وينمي علومها ومعارفها، ويعزّز التعاون فيما بينها، ويمكن من إيجاد السند من حيث الدعم المعنوي والممادي لها، ويقوّي روابطها بالعالم الإسلامي الذي هي جزء فاعل فيه، دون أن ينبعها بتاتاً من التألف الوطني، والتآزر القومي، داخل المجتمع البلجيكي التي هي من عناصر مركباته. بل ترى من النهور تجاهله أو غض الطرف عن وجوده وفاعليته، خاصة وأن الظروف الاجتماعية الصعبة، والأزمات الاقتصادية الحادة في الأزمة المعاصرة، وما يصاحبها من تجاذب القوميات لغة وثقافة وسياسة، ناهيك عن تسامي أشكال العنصرية، لا تدفع جهة تشجيم انصهار الثقافات والأعراف المتباينة.

فمن العبث اعتبار الجالية المسلمة بيلجيكا موحدة الثقافة⁽²⁾ والعرف بمفرد أنها موحدة العقيدة والمصير. لكن من اليقين كذلك، رغم كونها فئات متمايزه الأصول والعرف وأشكال الثقافة، أن وحدة العقيدة الدينية والمصير الاجتماعي تختم عليها

بشكل لا رجعة فيه إلى الديار البلجيكية، وضرورة اعتباره منذئذ ركيزة صلبة من ركائز المجتمع الفاعلة المستحيلة للقتال.

3. نلاحظ تباعاً في النص بين أهداف المؤتمر المشار إليها في ورقة التعريف كما ألحنا إليها فوقه، وبين ما عبر عنه من الغايات المتواحة من عقد المؤتمر الدكتور الرئيس. ففي الأولى الهدف الأساس هو الباحث والشاور بين مختلف العناصر الفاعلة في ساحة الديانة الإسلامية ببلجيكا لمواجهة تحديات كثيرة ومتعددة، وفي عرض الدكتور الغاية الأساسية الوصول إلى ما يسمى بهيئة المناخ لتمثيل المسلمين من خلال محوريين: القصد لوحدة المسلمين، والعمل على احترام الحساسيات.

لكن نلتمس العذر لأصحاب المؤتمر في كون الباحث والشاور هو عنين ما أريد به تهيئة المناخ. فهذا عبر عنه بعض منه، وذلك عبر عنه بقصده. وكلا التعبيرين منطوقان لمفهوم واحد، هو حسن ممارسة تمثيل المسلمين⁽⁴⁾. وحسنها يملي إلى جنب إتقان القيام بأعبائها وحسن أدائه أمانتها، تكيف الجهد لتتوسيع ذلك الإتقان وحسن الأداء بالاعتراف الضروري لرسمية النشاط والممارسة، والإتفاق عليهما من المال العام.

ولهذا رأينا أن نعتبر من الفرضيات المبدئية لقراءتنا النقدية كون الهدف الأساس للمؤتمر يتجلى في ما يمكننا التعبير عنه منطوق ثالث لمفهوم ما دعواناه "حسن ممارسة تمثيل المسلمين" عبر المضمن التالي: "الباحث والشاور بين مختلف العناصر الفاعلة في ساحة الديانة الإسلامية ببلجيكا لمواجهة تحديات كثيرة ومتعددة، قصد تهيئة المناخ لتمثيل المسلمين من خلال العمل على وحدتهم، وفي سياق تحرّم فيه مركبات وحساسيات المجتمع البلجيكي".

بـ-تشابه نظرات الذات

* توالي على المنصة بعد الرئيس أربعة ممثلين لفئات الحالية المسلمة ببلجيكا، كان أغلبهم من العناصر الشابة التي رسخت قدمها نشأة أو تربية في البلاد البلجيكية : الأول من أصل مغربي السيد محمد بوليف (Mohamed Boulijf)، معبر عن الجالية المغاربية، والثاني من أصل تركي السيد هارون طونش (Harun Tunç) معبر عن الجالية التركية، والثالث من أصل بلجيكي الدكتور عمر فاندربروك (Omar Van Den Broeck)، معبر عن الفتاة المسلمة ذات الأصول البلجيكية أو الأوروبية، والرابع من أصل لبناني السيد محمد منيف الكيلاني (Mohamed Mouni) معبر عن باقي الفئات المسلمة ذات الجنوبي المنحدرة من شتى أقطار العالم الإسلامي.

ونقدم فيما يلي بالتتابع، وبشكل مُركَّز، خلاصة للخطاب الفوري الذي ارتأينا عنونته بعنوان يوحى بضمونه هو "تشابه نظرات الذات"، لتمييزه عن لاحقه الذي عنوانه "تبسيط نظرات الآخر"⁽⁵⁾. فالذات هنا هي المخاطب والمخاطب. ومستقبلها

الروحي ومصيرها الديني هو موضوع الخطاب. والمتبّع معنا خلاصة ما سيعرضه كلٌ من الممثلين الأربع ل مختلف الفئات المسلمة المكونة للحالية بهذه الديار، سيمس الترابط والتلامس والتشابه في تشخيص الداء واقتراح العلاج، وإن اختلف زوايا التناول وأشكال العرض.

1- افتح الكلام في هذا الجزء من الخطاب التعبيرية السيد محمد بوليف (Mohamed Boulijf)، وهو من الشباب النشطين بال مجلس، وعضو اللجنة التقنية لتعيين وتداريب قضايا تعليم الديانة الإسلامية. فبدأ بلسان دلق حديثه عن المحرّة، واصفاً إياها بالحدث العالمي والظاهره الدولي، شارحاً وعملاً آراءه من خلال تناول مركز لتاريخ المحرّة بالبلدان الأوروبية، مشيراً إلى أن أوروبا إذا كانت في الأزمة السابقة قد عاشت هجرة مكثفة من بلدانها إلى مناطق أخرى من العالم، فهي في العقود الأخيرة كانت محلَّ هجرة مماثلة من شتى جهات العالم إليها، مُنّوهاً بالسياسات الإيجابية لبعض البلدان الأوروبية المميزة في علاقاتها مع جمهور المسلمين.

ورَكَز السيد بوليف في عرضه على أن كلَّ مواطن مهاجر يطبع ويلاحُ بعد أن ينغرس حاضره في البلد المضيف على أن تكون له هُويَّة. فتلك الهوية هي التي تسمح له بالحفاظ على قوته المعرفية، وقوة عطائه داخل المجتمع المضيف. فهي تعطي صاحبها معنى للحياة، والمواطنون الذين لهم هُويَّة هم أصحاب عطاء أكثر من الذين يحسُّون بأنهم منقطعوا الجذور عن الوطن الذي هم فيه. مضيفاً أنه بدون ضمان توفر تلك الهوية والدفاع عنها، تكون الديموقراطية مجرد شعارات.

ولم يفت السيد بوليف في آخر عرضه أن يوجّه عير الحاضرين خطاباً من خالص القلب للMuslimين وغير المسلمين :

* فأمام خطابه للMuslimين في يكن في دعوتهم بأن يكونوا حاملي حق، وأن يتميز كلامهم بقول الصدق، وأن يُعدوا تلك الصورة التي تحاول أن ترهب الناس من الإسلام. فالجهل قد دفع بالكثيرين إلى إعطاء صورة لا تتحانس مع الدين الحنيف. فليعكف كل مسلم بهذا البلد على إعطاء الصورة المثلثة للإسلام، ولبيعد عنه الجهل ولتحلّ بالعلم.

* وأمام خطابه لغير المسلمين في يكن في دعوتهم لقبول الحوار، وأن يكونوا أكثر افتتاحاً له دون مواقف سلبية اتجاه الإسلام والحضارة الإسلامية.

ولكم هي رقيقة تلك الشهادة التي أدلّ بها هذا الشاب من الجيل الثاني في حق الجيل الأول المؤسس، والتجليدية بخشوع بين من خاتمة تدخله المركَّز عبر تجربة من أعماق القلب للأباء الذين مكثوا أبنائهم من تعلم الإسلام، وأفروا الجهد في بناء المساجد ودور الصلاة، وحافظوا بما أتيح لهم من إمكانيات وحسب مستوياتهم على استمرارية الإسلام في عَقبِهم.

2- ثم تقدم إلى المنصة الأستاذ هارون طونش (Harun Tunç) مثلاً للجالية التركية، فتعرض لتاريخ الحالى المسلمين بليجيكا ومعاناتها من ظروف ومشاكل المحرقة، وأرقها من ذلك الوهم الذى ظل لاصقاً بالمهاجرين، والمتمثل في انتظارهم العودة غداً إلى ديارهم، إلى أن اقتنعوا بأن مستقبلهم يقتضي البقاء على أرض بلجيكا، شاكراً للسلطات البلجيكية إصداراتها لقانون 1974، واعترافها بإدارات الديانة الإسلامية.

لكنه عاب على هذه السلطات عدم الاهتمام كما يجب بواقع المسلمين، مقدماً أمثلة عن الخصوصيات الناتجة عن عدم العناية الدينية بالجالية مثل غياب وجود مقابر للمسلمين، وغياب التمويل الرسمي لمؤسسات المسلمين، وغياب تمثيل الفعلى للمسلمين، وغياب الحل العملى والفعال لقضايا المسلمين، داعياً في آخر كلمته السلطات البلجيكية إلى أن تفتح طلبات الحالى المسلمين، وأن يقدم المسلمين من جانبهم على العمل بما في يد لسد الفراغ التشريعى الحالى في هذا الجانب، حتى يمكنوا أنفسهم على استحقاق من أدوات وهىآت تسمح لهم بالمارسة العملية لحياتهم الدينية، وإيجاد ما يتطلب ذلك من اتصالات وعلاقات ضرورية.

3- كانت الكلمات الرقيقة التي فاھ بها حين انتقل إلى المنصة الدكتور عمر فاندربروك (Omar Van Den Broeck)، وهو الباحث في الفكر الإسلامي المعاصر، والمشرف على الشاطىء الفلامانى بالمركز الإسلامي والثقافى بليجيكا، ذات وقع خاص في نفوس الحاضرين، يستشف منها المستمع الوعي الفطرة الإنسانية السليمة، ومدى تمازجها الدينامى مع العقيدة السمححة حين تعيد اكتشافها للإسلام.

فقد بدأ الدكتور عمر حديثه على طريقة الصوفية بكلام عن النفس ورقها من خلال تجربته الأولى مع الإسلام، شارحاً كيف أنه احتك بالغاربة بمدينة مالين (Malines)، حيث لم يكن يخطر بباله قط بأن يصبح يوماً ما مسلماً. أعجبه تنظيم الغاربة الاجتماعي، وانبهر لقوتها تماسكم الروحي، ففكf على دراسة الإسلام من خلال مراجعه الأساسية، مبيناً أنه تعرف على الإسلام من خلال مكتبات بلجيكا أساساً، ومن خلال المفاهيم الغربية التي وجد قيمها القوية موجودة في الإسلام.

لقد وجد أنبياء الرسالات السابقة التي يؤمن بها الغرب معترضاً بها في الديانة الإسلامية، ووجد التسامح سائداً بين المسلمين الذين كانوا يقطنون مدینته الأصلية. بل وجد أن هذا الدين يحتوي تاريخه، وأن القيم الغربية ليست متناقضة بتاتاً مع الإسلام. على العكس، هي كما يقول مجال للتعبير عن مصداقية تلك القيم، وتتحقق لها مما شابها عبر التاريخ من الدخن.

ثم انتقل بعد حديث النفس إلى التلميح بإشارتين :

* الأولى أنه كان يمثل "المركز الإسلامي" في المجلس الأعلى لسلامي بلجيكا، فاضطر إلى الاستقالة حتى لا يكون هناك

شيء يسمح باتهام المجلس الأعلى من أن وراءه جهات تحركه عبر المركز.

* والثانية أن الإسلام يعير عنه بشتى الأشكال، وهو لا يخفى بأن الشكل الذي يتباھ شكل صوفي، ومن تم اهتمامه بتزكية النفس.

وختم الدكتور عمر كلمته بالطرق لمسألة الاعتراف بالإسلام، ذاكراً أن هذا الاعتراف مازال لدى السلطات البلجيكية في شكله النظري، وأنه في شكله العملي ليس ملماً على الإطلاق، طالباً بأن تكف الجهات المعنية عن تلك الكذبة المتمثلة في ادعاء الاعتراف الحقيقي بالإسلام، وداعياً جهور المسلمين إلى الاتحاد والتكافل والتناصح.

4- أما الشخص الرابع من المعتبرين عن الذات باسم فئات الحالى الأخرى فهو الأستاذ محمد منيف الكيلاني (Mohamed Mounif Kilani)، يعرفه الشباب من خلال محاضراته ودورسه ونشاطه، ويعرفه العامة من خلال خدماته وترجماته. أشار بداية بأسلوب لبق إلى أن المسلمين في هذا البلد يعيشون شخصية مزدوجة، شخصية المسلم من جهة، وشخصية القاطن في بلد معلم من جهة أخرى. أما وضعهم فهو وضع مخجل، لكنه إلى جنب ذلك الخجل مشحون بالأمال.

أما كون الوضع مخجلاً فيمكن التطرق إليه غير تحليل مركز لمواصفات أربعة عناصر :

* الأول السلطات البلجيكية، التي حين عزمت على إقامة المسلمين إليها لم تكن إلا باحثة عن أذرع وسواudes للعمل، غافلة عن كل تأثير ثقافي أو فكري أو ديني لهذه السواعد التي رغبت في استقادتها. كما احتاجت إلى عقود من الزمن لتبتكر فكرة المساعدين الاجتماعيين سعياً في سدّ هذا النقص الذي كان عليها أن تباشره أولاً.

* الثاني سفارات الدول الإسلامية، وخاصة منها صاحبة الحالى الكثيفة، التي باستثناء تدریيسها لللغة، لم يكن همها يتتجاوز التذكير بأصول المهاجرين وصلتهم ببلدهم الأم، متسائلاً أين هي آثار التعليم؟ وأين العون اللوجستيكي للمساجد؟ وأين هي حلقات التوعية ومحو الأمية؟ كل هذا لم تقم السفارات فيه بواجهها على الوجه المطلوب، فبقيت الحاليات معرضة لموجات التجهيز واستمرار الخرافات والطقوس البائدة فيما بينها.

* الثالث المركز الإسلامي والثقافي، الذي ظل يشكو من غياب التدبير الفعال والإستراتيجية الحكمة. التجهيزات موجودة، لكن غير مستغلة. والمركز بفعل تماطله وأخطائه فقد الكثير من مهامه وأمورياته. نعم هنالك جهود كبيرة تبذل، لكن من أجل نتائج بسيطة جداً، وبدون هم للتغيير أو التطوير أو إيجاد الحافر الحاث على البلورة.

العبادي لل المسلمين لأنه أمر ديني ليس من اختصاص أجهزة الدولة. أما باقي الأمور الاجتماعية والسياسية فالMuslimون فيها سواء مثل غيرهم، ملزمون فيها بنفس الواجبات، ويتبعون بنصوصها بنفس الحقوق التي تكفلها المواطن أو الإقامة الشرعية، والتي لها قنواتها الدستورية من أحزاب ونقابات وهيئات سياسية.

كما لا ينبغي أن يغيب عن الذهن أن المسلمين بهذا البلد أقلية لها خصوصياتها، وها معطياتها الذاتية التي تحتاج إلى معالجة فقهية جديدة تماماً، منطلقة من الأصول الإسلامية، لكن مُنزلة على واقع مخالف للمجتمعات الإسلامية العريقة التاريخ في حضارة الإسلام. فهناك شبكة من العلاقات لابد من إقامتها هي من النوع المتكرر لم يشهد التاريخ مثله. وظروف عيش داخل وسط علماني علينا مراعاة متكراته ومبادئه التي سمحت بوجود الإسلام، والانطلاق من أن المسار بها يهدّد بقاء الإسلام نفسه، خاصة حينما تكون الذات محل سخط غير معلن من طرف جهات لا تطمئن لوجود الإسلام بالعالم، فكيف به داخل الدين؟

وصدق من قال :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساواة

فعين الرضا لا تنظر إلى العيوب التي لا تخلي منها الأفراد والشعوب قاطبة، فكأنها كليلة وعليله لا تبصر. أما عين السخط فكم من صغيرة ضخمت، وكم من توافقه عظمت، وكم من اطمئنان أفلقت، وكم من هادئ أفرعت، خاصة إذا توفر لها من منابر الإعلام ما يسمح بالتهويل ويدعو إلى التخويف، لا يلقي الغشاوة على طرفها الراسد إلا القول المبين، والعمل السليم.

ولهذا كان ضروري أن تكون العناية على الوجه الذي أشرت إليه بشكل تستطيع معه الفشات المسلمة ممارسة شؤونها الدينية مع كامل اليقين بأنها تشارط باقي المواطنين وحدة الاتمام القومي، والشعور بالحس الوطني، والقيام بأعباء التكافل والتآزر الاجتماعي، والمشاركة بهد الأقلية في صناعة التاريخ وتقرير المصير.

ج - تباین نظرات الآخرين

تقدّمت بعد الفراغ من التعبير الفوبي للمنصة شخصيات دينية وفلسفية وسياسية، من ضمنها مثل الديانة الكاثوليكية الأستاذ لود. فيرمير (L. Vermeir) معين من طرف الكاردينال دانيلس (Cardinal Danneels)، وممثل مركز الحركة العلمانية في شخص رئيسه الدكتور فيليب جفولي (Ph. Groller)، وتغيّب عن الحضور مثل الديانة الإسرائييلية الأستاذ جورج. شنيك (Georges Schnek) لأن اليوم كان يوم سبت، لكن بعث بكلمة ترحيبة وعرض حول الديانة اليهودية وتطورها في بلجيكا.

كما عبر في هذا الملتقى مثلاً من استجواب للدعوة من الأحزاب السياسية مثل مثل الحزب الاجتماعي المسيحي الفلمنكي عضو مجلس الشيوخ الأستاذ هيجو فان رومباني

* الرابع أستاذ تعليم الديانة الإسلامية الذين عليهم أن يدعوا في كل شيء. عليهم أن يتذكروا البرنامج والمنهج والحضور، وليس هناك شيء معدّ لهم سلفاً أو مبرمج لهم قبلًا. بل على كل أستاذ أن يتذكر لنفسه ولذاته - حسب ما يراه، وحسب ما هو متاح له، وحسب قدراته - ما يتعلق بالبرنامج والمنهج وأشكال التدريس. فالمادة التي تدرس فاقدة لكل تأثير أو سند مرجعي، ومن هنا لابد من إحداث قنوات للمتابعة والتخطيط والمراقبة.

أما كون الوضع مشحوناً بالأعمال، فيرجع أساساً لوجود أصوات تتصدى بالحق، وحوار مكثف لإيجاد مؤسسة ممثلة للمسلمين، وأطراف مستعدة لتحمل مسؤولياتها فيما يتعلق بخدمة المسلمين، وقنوات للمساهمة في تطوير حياتهم الاجتماعية والدينية، خاتماً كلامته بأن علينا أن تكون متبعين لما يعرض علينا، ومدركين لما يمكن أن يقدمه من خدمة لهذا المجتمع المتعدد الديانات.

ذلك مضمون خطاب ما دعوناه بالتمثيل الفوبي للحالية. ونلاحظ إجماع الممثلين الأربع على دعوة المسلمين للتكافل والتضامن والتآزر ووحدة الصدف من جهة، وتبسيط آرائهم بخصوص مسار المناقشات مع السلطات، وتراجحهم في ذلك بين تفاؤل وتشاؤم من جهة أخرى.

لكن وددنا لو كانت بينهم على الأقل امرأة واحدة حتى بعد شبح عموم الذكرية الغالب في معظم الأنشطة الإسلامية، إلا ما كان منها لصيقاً بقضايا النساء ولم يجد أصحابه سبيلاً من حيث الإشراف لفرض ذكوريته.

كما وددنا لو أن كلًا منهم تناول بالتدقيق أبرز مشاكل فتنه المتكلم باسمها، ليس في عمومياتها، فهي تكاد تكون متشابهة لدى الجميع، ولكن في خصوصياتها المتعلقة بالأئمة والخطباء وحاجتهم إلى التكويين، والمساجد دور الصلاة واحتياجها للعناية، وقضايا الشباب وغياب الأندية الثقافية والرياضية ذات التأثير المناسب، ومشاكل تعليم الأولاد وتربيتهم والافتقار إلى المدارس الخصوصية والأستاذة الأكفاء والمنهج الدراسي المتكامل، وخلو الساحة من دور للرعاية الاجتماعية تراعي الجانب العبادي، وضعف التأثير في مجال التوعية الدينية، وإغفال جوانب تشحيط المجال العلمي والفكري والشعري المتجانس مع ظروف الحياة الاجتماعية في خصائصها وخصوصياتها البلجيكية والأوروبية لما يلاحظ من ركود في هذا المجال، وغير ذلك من القضايا التي لا عذر لها ولا حصر.

وقد يرد علينا أننا نطلب من المجلس ما لا يمكنه القيام به بمفرداته في غياب الدعم الحكومي. ونجيب أننا لا نريد من المجلس أن ينقلب إلى نقابة، فلا يتحقق لنا أن نخلط بين حقوق المسلمين كمدنيين، وحقوقهم كمتحدين في معالجة أمور دينهم التي هم أعرف بها من غيرهم، إسوة بما مثّلهم من الديانات الأخرى المعترف بها. فبديهي أن قضايا المجلس محصورة في رعاية الجانب

نحتاج إلى أن نشجع على امتزاج الثقافات وأن نبعد كل "لبنة" مجتمعنا

ثم انتقل إلى المنصة الدكتور فيليب جفولي (*Ph. Grollet*)، رئيس "مركز الحركة العلمانية" (أو مركز العمل الالاتيكي)، مشيراً إلى أننا لا نتعارف كما يلزم التعارف للأسف، وأن العلمانية لا يمكن تحديدها بموقف من الدين، ولكنها تحدد بالنسبة للقيم، قيم التسامح وقيم التكافل التي ليست متناضضة مع أي اتجاه ديني بالقدر الذي يتبعه هذا الاتجاه عن طقوسه الدعائية. فالعنصرية والإقصاء هما السُّم الميت للديمقراطية. وأسباب العنصرية وإقصاء الآخر هي أبعد من أن يكون متحكّم فيها في بلدنا.

نحن نحتاج إلى أن نبعد الانزواء على الذات، وإلى أن نشجع على امتزاج الثقافات، وأن نبعد كل "لبنة" مجتمعنا. بل نجد أن مجال الديانات هو الذي يصعب علينا فيه أن نجد مساحة من التسامح. فلا بد أن نوجد قاعدة للالتقاء، وقاعدة للتSAMح، وأن نرفض بناء الجدران حول ما يفرقنا، أو أن ندعى أننا نحن الوحيدين الذين نمتلك الحقيقة. لعمل جيّعاً على ما يدفع لتحرير المرأة، وعلى ما يشجع على الحرية والمساواة وكسب الثقة.

نشجب كل محاولات المس بالمساواة والحرية والديموقراطية

ثم تقدم أحد أعضاء المجلس ليقرأ الرسالة والتقرير المعبوث من طرف مثل الديانة اليهودية الأستاذ جورج . شنيك (*Georges Schnek*)، حيث حي الأستاذ شنيك المؤمن، وتنسى أن تعقد مستقبلاً مثل هذه التظاهرات خارج أيام السبت، معبراً عن تحيته وابتهاجه ببلجيكا، شاجباً كل أنواع التطرف التي تمنع الحوار، ومقديماً عرضاً حول تاريخ اليهودية والقمع والإبادة التي تعرض لها تابعو هذه الديانة في بلجيكا، مذكراً بالعلاقة القوية بين اليهودية والمسيحية، وتعاونهما في بناء المجتمع البلجيكي.

وانطلق في عرضه للتاريخ من ثورة فرنسا التي أعطت حق المواطنة الكاملة لليهود، مذكراً بما صدر في تاريخ 17 سبتمبر 1791 حيث أعطى القانون الفرنسي حق المواطنة لليهودي خالعاً عنه عضوية الأقليات التي كان سجيناً لها، ملمحًا في عرضه لما عاشته مسألة مساواة اليهود مع باقي المواطنين في شتى الأقطار الأوروبية.

أما دستور بلجيكا، فيذكر الأستاذ شنيك أنه قضى على سلبيات قانون نابوليون، مما مكن اليهودية البلجيكية من التألق والتطور، مذكراً بأن اليهودية البلجيكية تعيش على مذاهب شتى، وطوائف عدّة، لكن موحدة تحت مظلة واحدة هي "المجمع المركزي اليهودي لبلجيكا" (*Consistoire Central Israélite de Belgique*)، خاتماً قوله بأننا نعمل على دوام العدل والسلام بالعالم.

(*Hugo Van Rompaey*)، ومثله حزب الخضر الفلمنكي الكاتبة الفدرالية والناطقة باسم الحزب السيدة إيزابيل دوران (*Durant*). ييد أنه لم تتح فرص التعبير لبعض الأحزاب التي رحّبت بدعاوة المجلس، لكن لم تستطع حضور المؤتمر مثل حزب الأحرار الفلمنكي، وحزب العمل الفرنكوفوني.

كما دعي كذلك إلى المنصة شاهداً امتياز، أحدهما عضو بمجلس الشيوخ الأستاذ جورمان. دوفور (*G. Dufour*)، وهو راهب كاثوليكي من المدرسة الفرنسيسية، ينتمي لحزب الخضر، وثانيهما محام، وهو المحامي الخاص للمجلس الأعلى لسلمي بلجيكا الأستاذ جورج هنري بوتيي (*G. H. Beauthier*).

وقد توحّي كلمة "تبادر نظرات الآخر" التي عنونا بها هذه الفقرات بأن هناك تنافراً وتبعاداً بين الآراء المعتبر عنها من طرف المتتدخلين يوحى باختلاف كل تعبير عن غيره، ييد أنها أردننا أن نرمز بذلك إلى التباين الحاصل في صروف الآخر بين من حضر أو غير عن تأييده أو تحفظه، وبين بعض من لم يحضر ولم يعبر، لكن لم يفت الحاضرين المعربين الشّجاع لمواقه. ذلك ما أردنناه من التباين، ولننتقل فوراً لعرض ما ورد في تصريحات الآخر من البيان.

يلزم أن يتمتع الإسلام بكل ما يسمّه بالإشعاع

انتقل إلى المنصة مثل الديانة المسيحية الأستاذ لود. فيرمير (*L. Vermeir*)، فذكر أولاً أنه لابد من التمييز بين ما يصدر عن الهيئات الرسمية، وبين التطبيق الواقع على الصعيد الاجتماعي. فالكنيسة ترى أن الإسلام يلزم أن يكون له ما لغيره من الديانات بحيث لا يكون كلاً على الجهات الأجنبية. كما ترى أن على الدولة تمكن المسلمين من ممارسة دينهم وتنظيم حياتهم الروحية، بل ترى أنه يلزم أن يتمتع الإسلام بكل ما يسمح له بالإشعاع حسب ديناميكته.

وليس من مهام الكنيسة أن تقدم اقتراحات حول تمثيل المسلمين، لكنها تقول وبصراحة : كل قانون مصادق عليه يلزم أن يحمل مفعول التطبيق. هناك تحديات عدّة علينا مواجهتها في علاقة الإسلام والمسيحية وتاريخهما المشترك. إن التعددية في بلجيكا إسمنت علينا الحرص عليه لبناء مجتمع عادل. وعلى كلاً الطرفين بذل الجهود المتواصلة للاحترام المتبادل والعمل المشترك.

وختّم كلمته بالقول أن للكنيسة مركزاً اسمه "الكلمة"، تعتقد فيه محاضرات وندوات حول الإسلام والحوار مع الإسلام. وأن هذا المركز يضم مكتبة بها العديد من المراجع حول الإسلام وحضارته، بشكل يفتح باباً للحوار، ونافذة من أجل التواصل مع ديانة الإسلام.

الإسلام. فيفقد بذلك كل صلاحية أو مصداقية عند معتنقي هذه الديانة.

وبيجيكاما، ونحرص على شجب كل محاولات المس بالمساواة والحرية والديمقراطية.

علاج الأمر القائم يحتاج إلى أن توسع اللوائح الانتخابية
فتشمل جميع المسلمين، وتأخذ بعض الاعتبار كل الأقليات المسلمة، وأن تفتح هذه اللوائح للنساء، مضيفة إلى أنه لابد من إدخال عنصر ملاحظ من الخارج – مثل السلطات البلجيكية – لضمان سلامه ونزاهة الانتخابات، خاصة قوها بأنه لا يمكن للMuslimين أن يكونوا كاملي المواطنة إلا إذا اعترف لهم بحقوق ممارسة دينهم. وهذا فحزبها والمناضلون معها يسعون للاعتراف للMuslimين بحق الاقتراع وحق التربية، وأنه لابد من إبعاد كل تعين في مناصب تمثيل المسلمين لجهات أجنبية.

شهادة الامتياز أو امتياز الشهادة

بعد ذلك انتقل المؤتمر إلى الإنصات لشاهد الامتياز، أو هما كما ذكرنا عضو مجلس الشيخ الأستاذ جرمان. دوفور (G. Dufour) . وثانيهما الخامي الخاص لمجلس الأعلى ل الإسلامي بلجيكي الأستاذ جورج هنري بوتيي (G. H. Beauthier) .

ويبدو أن هذا النص العربي المستوحى مما دوناه بمذكرةانا إبان المؤتمر هو ما ظل محفوظا عن شهادة الامتياز، إذ بلغنا أن آلات التسجيل أبى أن يكون الامتياز لأحد، فأضررت عن العمل. ولكن هي مهمة وغنية الدلالة والتعبير كلمات شاهدي الامتياز. فلتتمعن فيها لندرك مبلغ الاحترام في حقنا من طرف رجال الفعل بالمجتمع البلجيكي. ولو لم يكن من المؤتمر إلا هذه الكلمات، لكفته تترجم لأعماله بالنجاح.

إسلام بلجيكي يتميز بالغناء والثراء لأنه ينمّ حرباً دينية

بدأ الأستاذ دوفور كلمته بتحية للمؤتمر وإشادة بأن الإسلام جسم منظم ومناخ فكري وجو ثقافي، وأن إسلام بلجيكي يتميز بالغناء والثراء لأنه يمنع حرباً دينية، مشيداً بمبادئ دين الإسلام التي تتجانس مع حزب الخضر، والمنطلقة من أن الأرض لنا، وعلينا أن نحرص عليها ولا نخربها.

فإلا إسلام كما يقول لإنسانيته ودعوته لأتباعه قصد احترام الأرض يمكن المواطن البلجيكي من خدمة الأرض واحترام باقي الأجانس، وهذا يدفعنا جميعاً إلى الدفاع عن قضيائنا بعيداً عن كل مسخ إعلامي أو سياسي، منها إلى أنه لا داعي لأن نضيع الوقت، ولنؤمن بوجود أزمة أساسية في وجهه عديد من الأمراض التي تنخر مجتمعنا مثل الانتحار والسامة وفقدان الأمل، وإنه من غير المقبول أن يكون هنالك سجين مسلم لا

على كل مواطن مسلماً كان أم غير مسلم احترام القانون ومبادئ الثقافة الغربية

ثم انتقل إلى المنصة ممثلو الأحزاب السياسية والنقابات، فبدأ القول في هذا الصدد مثل الحزب الاجتماعي المسيحي الفلامنكي عضو مجلس الشيخ الأستاذ هيجو فان رومباي (Hugo Van Rompaey)، عبياً ومشجعاً على تنظيم المؤتمر، وحاملاً تحية من رئيس الحزب للمؤتمر، مذكراً بما سنه الدستور من قوانين تحدد أصولها في حقوق الإنسان، مشيراً إلى أن للإسلام الحق في التعبير والحياة والقوانين مثل باقي الديانات، وأن المسيحية لها احترام للمتدينين من المسلمين، كما أنها تشجب كل تطرف أياً كان من أية ديانة كانت لا تحترم مبادئ حقوق الإنسان، خاصة قوله بأن على كل مواطن مسلم كان أم غير مسلم احترام القانون ومبادئ الثقافة الغربية، مذكراً بأن هذه الثقافة تتجلى على الخصوص في ثلاثة مبادئ :

- احترام اللغة المحلية،
- العمل على تحرير المرأة،
- احترام مبدأ فصل الدين عن الدولة.

ما كان للانتخابات أن تُجرى في المساجد ونرفض وصاية الدولة على الإسلام

ثم انتقلت إلى المنصة ممثلة حزب الخضر الفلامنكي الكاتبة الفدرالية والناطقة باسم الحزب السيدة إيزابيل دوران (Isabelle Durant)، بادئة بالتحية والشكر على الدعوة، ومعرفة بعلاقة الحزب والمناخ الديني ببلجيكي، وأن حزبها يضم أعضاء من مختلف الديانات، وأن الدولة البلجيكية تقوم بتمويل الهيئات الدينية، لكن الإسلام لا يتمتع بشيء من ذلك.

وذكرت في ثنایا عرضها أن صورة الإسلام المشوهة تستغل من طرف اليمين المتطرف، وهذا يدفعنا لكي لا نتهاون عن أثر هذه الصورة في العمل من أجل الاعتراف بالإسلام، منبهة إلى أنه ما كان لانتخابات المجلس أن تجري في المساجد، ولعل هذا ما منع أن يكون المجلس مثلاً حقيقياً للمسلمين في بلجيكي، مذكورة بأن مشاكل المиграة وقضايا الإسلام تحدد أصولها في تاريخ كلا الأمرتين، فهي في حربها ومن معها تربط بين الدفاع عن تمكين رجال التربية من الوسائل الضرورية، وتشجع كل إسلام يتتجانس مع الثقافة البلجيكية والقانون البلجيكي.

ثم علت نبرة كلمتها فيما يتعلق بما يلزم منه، وهو أن تكون للدول الأجنبية دخل فيما يتعلق بقضايا الديانة الإسلامية بلجيكي، أو أن تكون هناك مباشرة ووصاية للدولة على

بشكل يخدم من يتربص بهم الدوائر، مسيئاً إلى دينهم، ومؤجلاً
ناراً ولطى في وضعهم السليم، نود الإشارة إلى أن الجانب
الدبلوماسي في العلاقات العامة عندنا ما زال ضعيفاً، وأننا لا زلنا
لا نعد حتى في صفو المسلمين من غاب عن التاريخ العربي
ل العلاقة الإسلام مع الملل غير الإسلامية داخل ترابه، وتسامحه وعدله
وتآزره في جميع الأزمنة مع المذاهب والتحولات التي تنهل من غير
عقيدته، بل وحمايته لها من جور بعضها على بعض، بعد أن ضمن
لها الحماية تلو الرعاية من متتبعها أتباعه.

ولكم يحسُّ المسلم بالاعتزاز حين يسمع من التأييد ما غير
عنه أمثال شاهدي الامتياز وغيرهما. ولكم يجد بعضاً من المرجع
مع قليلي العهد منا بالمجتمعات الغربية أو المجتمعات المتعددة
الديانات والثقافات حين يدلّي بتعبير مماثل في حق الديانات
والفلسفات الأخرى. ولهذا سبق القول هنا فوقة أن من أوكرد
الواجبات إقامة شبكة من العلاقات هي من النوع المبكر لم
يشهد التاريخ مثله، وتنمية طرق تعامل وتأزر وترتبط داخل
وسط علماني علينا مراعاة مرتزاته ومبادئه التي سمحت
بوجود الإسلام. كما نبهنا إلى أن المسلمين بهذا البلد أقلية لها
خصوصياتها، وهذا معطياتها الذاتية التي تحتاج إلى معالجة فقهية
جديدة، منطلقة من الأصول الإسلامية، لكن منزلة على واقع
مخالف للمجتمعات الإسلامية العربية التاريخ في حضارة
الإسلام.

استراحة طفيفة وعبرة لطيفة

بتدخلات شاهدي الامتياز يكون المؤثر قد أنهى شِقه
الأول، ليتقلل الحاضرون والحاضرات إلى طعام الغداء وصلة
الظهور. ونكون نحن بتحليلنا وملحوظاتنا قد بلغنا خاتمة الفترة
الصباحية. ونود التأكيد قبل الانتقال لأختها المسائية أنها بورقتنا
هذه نقدم تحليلاً لا تقريراً. ونعمد لقراءة في أعمال المؤثر، لا
رثى شاملاً لكل ما جاء في المؤثر.

بُهْت من كان يطبع منا لو بلغته نية النشر تغطية دقيقة
لكل الواقع، إذ رام أنا - هول ما يتخيله - لا يمكن أن يفوتنا
شيء مما ألقى على المسابع. لكن لن يعد الفائدة من قراءتنا
القدية من رافقنا بوعي في تحليل ما سجلناه، واستبطاط مادوناه،
علماً أنها قد حاولنا فيه العرض الشمولي ما أمكن.

أهمس بذلك في أذن من رأني منكباً بخشوع على تسجيل
ملحوظاتي إبان المؤثر فظل شاخص البصر جهتي كالذى يُغضى
عليه من الموت، وإن كت لم أفت إليه. وأنت العذر له فيما
أنحالة قلة عهده بفنون البحث الميدانية، وضاللة بخواهيه بمعلومات
وندوارات تحليل الظواهر الاجتماعية، إذ قلماً - لو صادفه الحضور
بها - أن قام بتسجيل الأفكار أو تدوين الملحوظات. وإذا أنتمس
له العذر فمدرك ضعف قدرته على التمييز بين باحث عاكف على
تسجيل ارتساماته بالقلم، وملق بالسمع شاخص العين ثابت
كالصنم. وشتان بين خبير وغير فليُغفلتم.

كانت العرب البارحة موجهة ضد الشيوعية والبيوم السهام موجهة للإسلام

ثم انتقل بعده إلى المنصة الشاهد الثاني الأستاذ جورج
هنري بودي الحامي، ليذكر أنه منذ ست سنوات وهو يتكلّف
ب ملف المجلس الأعلى لسلمي بلجيكاً واعتراف السلطات البلجيكية
به، وأنه لا يريد أن يحظى بتميز عن غيره، ولا يريد أن يكون
شاهدًا متميزًا لأنّه من خلال هذا الملف تعلم التواضع والمشاركة.
تعلم أن الجهات والسلطات ترغب في اللعب بصورة خطيرة جدًا.

فدائماً كان يقف في وجهنا يقول السيد بودي أن المسلمين
غير موحدين، وأننا في بداية المسار، منها المجلس وأعضاء قائلًا :
إنكم إذا استطعتم غداً أن تقولوا نحن الممثلون الرسميون، وهذا
اعتراف الدولة بنا، فإنكم انتهيتم. لأن قراراً وزارياً لا يمكنه أن
يسدّ الحاجيات التي تلمسها في دفاعنا عن المسلمين بين الأمس
والغد.

ثم مضى في حديثه مذكراً بأن هناك فراغاً قانونياً لتمثيل
المسلمين في بلجيكاً. ولقد دلت المجموعة المسلمة بحسب ذلك على
أنها تستطيع تنظيم نفسها. لكن من غير المقبول ولا المقبول أن
تقول السلطات فلان أنت لا أريدك. فالبلاد الديموقراطية، لا
تقلّى الجهة الأمنية القانون. أنت يا أعضاء المجلس موجودون
لأنكم أنت المسؤولون عن قضايا الدين الإسلامي. والحقيقة أن
أولئك الذين يرفضهم وزير العدل هم الذين يعملون لصالح
الجالية المسلمة. البارحة كانت الحرب موجهة ضد الشيوعية،
والبيوم السهام موجهة للإسلام، ولا أدرى غداً من يكون
الضحية. فنستطيع جيّعاً أحزاباً ومنظمات إنشاء مجتمع آخر
يعيش في سعادة. وإذا لم ثبت للقانون قوته، فالعنف هو الذي
سيحل محله.

تلك كانت حصيلة تعبير الآخر على ما فيها من تشابك
وتبادر. وليس لنا في هذا الجانب من ملاحظات، ولكننا نكتفي
بملحوظة أن لكل جمّع أو حزب سياسي أسلوبه الدبلوماسي
المتميز في جانب العلاقات العامة مع المؤسسات الدينية والسياسية
الأخرى. ونحن هنا لا نود التعليق على ما قاله من استجابوا
للدعوة من مثلي الدين والسياسة، فمضمونه مواقف معبر عنها
داخل مناخ تلك العلاقات العامة، دون أن يكون لها قيد على
تصرفات وقرارات الهيئة المعتبرة في ما يتعلق بموضوع الإسلام
والMuslimin إلا بالقدر الذي لا يعكس سلباً على تلك العلاقات
والأهداف التي تتroxها منها الهيئة المعنية.

لكن لكثرة ما يستفز المسلمين، ولقلة حوارهم مع
الديانات والفلسفات السائدة، إما لحفظ من تلك الديانات
والفلسفات، أو تخوف من أن تؤول أقوال وتعابير الطرف المسلم

الصيغة الجماعية، لا من حيث الصياغة، ولا من حيث المسؤولية. وما هو تنظيمي وإجرائي يهتم به قبل إنجازه للتحقق من فاعليته، ولا يلتفت إليه بعد نفاد فعله إلا بالقدر الذي يكون فيه تمييز له عن غيره.

1. لجنة التعليم

أشار مقرر لجنة التعليم بأن الأعضاء تدارسو الفراغ التشريعي وانعكاساته الخطيرة على الأساتذة المدرسين للديانة الإسلامية، منطلقين في ذلك من أن المدرس حلقة ربط متعددة الأبعاد، أهمها أربعة :

- وبعدَّ بين الإسلام والآباء.
- وبعدَّ بين الإسلام والمدرسة.
- وبعدَّ بين الإسلام والطفل.
- وبعدَّ بين الإسلام وبقى الأساتذة.

ولتمنين روابط تلك الأبعاد على أكمل وجه، ترى اللجنة ضرورة القيام عاجلا بما يلي :

* على مستوى الحقوق : تشجيع المدرسين في أن يستمروا في المطالبة بحقوقهم، كما علينا أن نبادر بإنشاء ميثاق لمدرسِي الدين الإسلامي.

* على مستوى التكوين : يلاحظ وجود بعض المدرسين الذين لا ثقافة دينية لهم، إلى جانب ضعف التكوين لديهم. وهذا يدفع جهة التعجيل بإعداد برامج لتكوينهم، لأن هناك نتائج خطيرة - نظراً لضعف المستوى - على قيمة المادة التي تدرّس.

ويبدو أن كلمة المقرر حول المستوى المزيل لبعض أساتذة التدريس لم تحض بالموافقة الجماعية من كافة أعضاء اللجنة، فانيرى إلى المنصة في آخر التدخلات أحد الأعضاء ليتبه إلى أشياء أخرى ناقشتها اللجنة ولم يشر لها المقرر، منها ضرورة التكوين المكثف للأساتذة، وضرورة الاعتراف بمستواهم وتحسين وضعيتهم، ومددهم بكل ما يحتاجونه من وسائل يداعجوية، وتقديمهم من السيرورة الإدارية التي تسمح لهم بالتأشير في إطار الوظيفة، وتشجيعهم على التمكن من المعارف الجديدة مثل باقي أساتذة المواد الأخرى.

2. لجنة الأئمة والمساجد

كانت نتائج هذه اللجنة كالتالي :

- * ترى اللجنة أن هناك مشاكل عديدة تهم الأئمة والمساجد تحتاج للتشخيص الدقيق.
- * تلاحظ اللجنة وجود هيئة لبعض الشخصيات على مكاتب المساجد، وأن العديد منها ليسوا في مستوى تدبير شؤونها.

لم يكن نظر الراسد محزاً بالنفس أبداً حتى ألح إليه، ولا أخالي مستقبلاً بعد هذه الإشارة ملتفتاً إليه. بل القصد من تلميحي لما ذكرت الرغبة في توفير استراحة للقارئ بعد تحليل وتقدير عروض فترة الصباح حتى لا أنقل عليه، وتسلية له في جو حي من أجواء المؤتمر وكأنه أمام عينيه.

ـ شاطئجان المؤتمر

ولنوجّه الآن عناية الذاكرة نحو المؤتمر، لنلحظ بعد أن انتهت صبيحة اليوم، وتناول الناس طعام الغداء، وقبل توزيع الحضور جانا، انتقل إلى المنصة الدكتور يحيى ميشو (Michot Yahya)، وهو عضو بال مجلس الأعلى لمسلمي بلجيكا، ليذكر بأن هذا المؤتمر هو الأول من نوعه، وأن هناك مؤتمرات لاحقة ستتبعه، ولهذا فليس من مهام هذا المؤتمر أن يقدم حلولاً نهائية لمشاكل المسلمين. بل علينا أن ننتقي من المشاكل ما يحظى بالأولوية، وإن نتقدم في علاقتنا مع عناصر أخرى للمجتمع، وخاصة مع السلطات المحلية والسلطات العمومية، وأن مؤتمرات ولقاءات أخرى سترى النور تتناول فيها مستقبلاً بإذن الله ما استجد من القضايا وما ينقصنا من التحليل.

أما الآن يقول الأستاذ ميشو، فلنفتح المجال للفكر النقدي للبناء، ولا نقم بإصدار حكم على الماضي، بل نحن نحتاج إلى البناء والأمل في المستقبل، وإلى الإعداد لهذا المستقبل. أتمن مطالبون بأن تقوموا بعمل لا أن تقوموا بثورة. عليكم أن تعرفوا بالخصوصيات التي هي للمجتمع الذي تعيشون فيه. لكم الحق في أن تعرفوا. فالمسلم الذي يحترم نفسه لا يدخل في حرب مع المجتمع. فإن يعرف بكم هذا نداء حيوي، لكن يحتاج إلى أن تعرفوا بدينكم.

من هنا كان الحوار ضرورياً باستمرار. فإذا كنا على حق فليس لنا شيء نخشاه. مجتمعنا المسلم ليس عليه أن يتزوي على نفسه. بل إسلامنا يدفعنا لأن نكون أكثر حيوية وحواراً وعطاءً في المجتمع. نحن نحمل قيمًا حضارية وأخلاقية هي قيم النفع للمجتمع، والخدمة الإيجابية لصالح هذا المجتمع.

وختم الأستاذ ميشو كلمته داعياً الحضور إلى الانقسام إلى ثمان جان، محدداً المشرف والمقرر في كل لجنة. أما اللجان فهي : لجنة التعليم، ولجنة الأئمة والمساجد، ولجنة الشباب، ولجنة النساء، ولجنة الاعتراف القانوني بالدين الإسلامي، ولجنة القضايا تنظيمات المجلس الأعلى لمسلمي بلجيكا، ولجنة القضايا الاجتماعية والاقتصادية، ولجنة الحوار مع الديانات الأخرى.

ثم بعد مناقشة وتداولأعضاء اللجان حول الموضوع المخصص لكل لجنة، تعاقب المقررون على المنصة ليقدموا نتائج لجنهما. ونحن إذ نقدم على تقديم نتائج اللجان بإيجاز لجنة لجنة، لم نرد أن نقل على القارئ بسرد أسماء رؤساء اللجان والمقررين. ذلك أن مهامهم كانت تنظيمية، وما صدر عن اللجان يكتسي

- الانكباب فوراً على سد حاجياتهم الثقافية.
- إرساء حوار ثلاثي الأبعاد : بين الشباب أنفسهم، وبين الشباب والمسؤولين والسلطات المعنية، وبين الشباب وآبائهم وأسرهم.
- إيجاد نوع من الموعظة الخاصة بالشباب.
- دفع الشباب إلى المساهمة بشكل أكبر في ما ينفع المجتمع المسلم بileyika.
- إنشاء أنشطة بين المساجد وبين الجمعيات التي تهتم بالشباب على صعيد المواسم الرياضية والمباريات الترفيهية والثقافية.
- تشجيع الكشفية الإسلامية والخرجات السياحية الثقافية.
- تشجيع تكوين الشباب وتكون المكونين هؤلاء الشباب.
- تأطير للمعاقين من هؤلاء الشباب.
- دعم المرضى والمسجونين.
- دفع الشباب إلى الاهتمام بumarدهم وحسن التصرف بما يصلهم من المال من ذويهم حتى يصب فيما يخدم المجتمع المسلم ويحسن صورته.
- السعي للحفاظ على ما هو موجود الآن، والبحث المكثف والمواصل على إيجاد ما ينقص من الحاجيات والضروريات والوسائل لخدمة هؤلاء الشباب.
- * وتحصي اللجنة في هذا الصدد أن يكون على الأقل ثلث أعضاء المكاتب من الشباب حتى يمكنها أن تشهد نوعاً من التجديد والتطور والتجدد.
- * توصي اللجنة بضرورة إنشاء مراقب للشباب خارج إطار العبادة الحضرة بمراقب المساجد، مثل أمكانية تناول فيها بعض المشروبات، أو قاعات للترفيه وإجراء المناقشات والحوارات أو بعض الرياضات والألعاب الخفيفة.
- * ترى اللجنة أن على الأئمة أن يتعلموا اللغة المحلية المتداولة بين الشباب، والتي هي الفرنسية في المناطق الفرنسية، والفلامانية في المناطق الفلامانية.
- * توصي اللجنة بإنشاء صندوق للتكافل والتضامن بين الأئمة.
- * ترى اللجنة ضرورة التكوين العاجل للأئمة.
- * تلاحظ اللجنة وجود رغبة في تكثيف وتنسيق العلاقات بين المساجد والأئمة فيما بينهم.
- * كما تلاحظ غياب الاهتمام بالمرأة في المساجد، وأن العديد من المساجد ودور الصلاة لا تُمكّن المرأة من العبادة، ولا تنسح لها المجال للصلاة اليومية، في الوقت الذي يكتفي فيه بعضها بفتح أماكن للنساء يوم الجمعة فقط.
- * تنص اللجنة على ضرورة التفكير في إيجاد السبل والوسائل للمعاقين حتى يتمكنوا من دخول المساجد وقضاء صلواتهم مثل باقي إخوانهم في كامل السلامة والطمأنينة.

4. لجنة النساء

كانت هذه اللجنة ولا جامالة أكثر اللجان عطاءاً، وأزخرها إنتاجاً. وجاءت التوصيات من خلال تعبير عن مجموعة من الحاجيات تلخصها كالتالي :

- هناك عديد من النساء يتسائلن حول هدفهن في هذا المجتمع المسلم، وعن مدى غايتها، وما هو وضعهن، وما هي مسؤولياتهن؟
- هناك حاجة ماسة إلى المرافق، سواء من أجل أداء الشعائر الدينية، أو من أجل خدمة قضايا المرأة المسلمة، سواء اللواتي هن مسلمات ومن أسر مسلمة، أو اللواتي اعتنقن الإسلام وانخرطن في خدمة الجالية المسلمة.
- هناك حاجة ماسة إلى محو الأمية وتعزيز دور التربية.
- الحاجة ماسة كذلك للأنشطة الرياضية، مع ملاحظة غياب الجمعيات الرياضية النسوية، وعدم الاهتمام بتاتاً بهذا الجانب.

3. لجنة الشباب

نصت مداولات هذه اللجنة على الملاحظات والتوصيات التالية :

- * في الجانب الاجتماعي : تلاحظ اللجنة مستويات الخطورة التي وصل لها التسيب والبطالة والإخفاق المدرسي والتوجيه المدرسي المعاكس للرغبات. وتحصي في هذا الصدد بضرورة الحضور الدائم للعناية الاجتماعية، وأن علينا أن نعرف كيف نخاطب الشباب، بل كيف نخاطب الطفل في بداية صباحه.
- * في الجانب الثقافي : تلاحظ اللجنة المستويات الفظيعة للأمية المتفشية بين الحاليات المسلمة، والمستوى الثقافي المزيل الذي توحى بها رداءة نسيجها الثقافي، وتحصي في هذا المجال بالتعجيل الفوري لإنجاز المهام التالية :
- إثارة انتبا乎 الشباب إلى هذه المخاطر وتحذيره من عواقبها.
- تقوية أواصرهم الثقافية بأن نضع تحت تصرفهم التجهيزات الضرورية قصد إرساء نسيج ثقافي متين بينهم.

مرهون بالاعتراف. ولهذا فالتمويل من المال العام هو أصل الاعتراف ولبه.

هناك حاجة ماسة إلى إنشاء جامعات للفقه الإسلامي وللديانة الإسلامية كي تتمكن الجالية المسلمة بليجيكا من تناول قضيتها الدينية والروحية بشكل أكاديمي علمي له خصوصياته، وله ميزاته، وله شكله المنشق من القضايا والمشاكل التي يعيشها ويواجهها على الأرضية التي هو موجود فيها.

توصي اللجنة بأن يستمر أعضاء المجلس الحاليين وأعضاء مكتب في المهام التي يمارسونها الآن، نظراً للظروف التي يجتازها الحوار بين المجلس الأعلى لمسلمي بلجيكا وبين السلطات البلجيكية.

تطلب اللجنة من المجلس أن يكشف اتصالاته مع مختلف الجهات، وأن يشكل جهازاً تمثيلياً للجالية كلها يضم إليه كبار العلماء، وكبار رجال التدبير، وكبار أعيان وعقلاء الجالية المسلمة.

توصي كذلك بأن يكون هناك جدول زمني للعمل يمكن أن يحاسب مكتب المجلس عليه، كما توصي بضرورة إنشاء لجان للعمل تكون من الإنجاز السريع والفعال لمختلف التوصيات والمهام التي تناط بالمجلس.

6. لجنة تنظيمات المجلس الأعلى لمسلمي بلجيكا

كانت توصيات اللجنة السادسة كالتالي :

على المجلس أن يكون حاضراً في جميع المشاريع التي تهم الجالية المسلمة. وعليه أن يتخذ التدابير، وينشأ التنظيمات الضرورية لذلك.

تلحظ اللجنة غياب المداومة بمكتب المجلس الأعلى، وعلى المجلس أن يمكن الجالية المسلمة من حضور مستمر في مكتبه.

تدعو اللجنة المجلس لكي تكون له اتصالات وطيدة مع الجالية، ومكاتب في كل أقاليم المملكة البلجيكية، بحيث يكون المجلس في كل مكان توجد به فئات هامة من المسلمين، مهتماً بقضائهم، ومنصتاً لشكواهم، ومقيناً للحوار بين فصائلهم، ملمس الحضور في جميع الجوانب.

تسائل اللجنة حول مراقبة الجالية المسلمة لهذا المجلس، وأين تحلى هذه المراقبة. فما هي أدواتها، وأين تنظيماتها؟

تبه اللجنة إلى أن الاعتراف من يمثل المسلمين ليس هدفاً في حد ذاته، ولكنه وسيلة من أجل خدمة أكبر للجالية، سواء

هناك حاجة إلى لقاءات للإعلام، ولتربيّة الأطفال، ولتبادل المعلومات، وللإحساس بتكافل وترابط المجتمع المسلم.

النecessity ماسة للحوار مع الديانات الأخرى، ومع الطوائف الدينية التي تعيش معنا في هذا المجتمع.

هناك حاجة إلى حضور نسوى ملمس في الجمعيات الإسلامية وفي المساجد.

هناك حاجة للاهتمام بخطب الجمعة وترجمتها إلى اللغة التي يفهمها الشباب المسلم الذي يعيش في هذا البلد.

هناك طلب قوي يحتاج توجيهه إلى المدارس من أجل مواجهة المشاكل التي يعيشها الأطفال وتعكس على هموم أمهاتهم، فلا بد من إيجاد دعم مؤسسات وعمليات تمكن المرأة من السهر على أطفالها، وإقامة علاقة متينة بينها وبين المدرسة بما يمكن من التحاوب السريع والفعال من أجل إنشاء مجتمع مسلم فاضل.

هناك حاجة ماسة إلى مشاركة المرأة في مختلف النشاطات، سواء على صعيد المساجد، أو على صعيد المستشفيات، أو على صعيد الاهتمام بالإنسان في مختلف النشاطات الاجتماعية.

يلاحظ في هذا المؤتمر عدم المشاركة الفعلية للنساء في التدخلات إذ لم تتدخل أية امرأة باستثناء مقررة لجنة النساء في نشاط المؤتمر، ولم تكلم أية امرأة عن المجتمع المسلم، باستثناء ممثلة الحزب الخضر الذي عبرت عن أفكار حزبها وموافقه مشكورة، ولم تكن مسلمة بالطبع.

5. لجنة الاعتراف القانوني بالدين الإسلامي

اخترت أن أكون عضواً في لجنة الاعتراف القانوني بالدين الإسلامي لحرصي على أن أعرف ملابس هذا الاعتراف، وما هي آراء مختلف الحاضرين حوله. أما ملاحظات اللجنة وتوصياتها فهي بإيجاز كما يلي :

تلحظ اللجنة الخلط الحاصل بين الاعتراف بمؤسسات تدبير شؤون الديانة الإسلامية، وبين الاعتراف بالظاهرة العربية الإسلامية. فهناك خلط سواء لدى الجالية المسلمة، بل حتى لدى أعضاء من المجلس الأعلى لمسلمي بلجيكا، ولدى السلطات فيما يتعلق بالاعتراف بتدبير قضايا الديانة الإسلامية، وبين الاعتراف بال المسلمين العرب ككتلة اجتماعية وسياسية.

تلحظ اللجنة كذلك أن الاعتراف يؤدي حتماً إلى التمويل من طرف الدولة، وأن تمويل قضايا المسلمين من المال العام

على الصعيد الثقافي، أو على الصعيد الاجتماعي، مؤكدة أن العمل الثقافي والخدمة الاجتماعية لا ينبغي أن يظل سجينين ورهينين باعتراف السلطات البلجيكية بممثل المسلمين.

7. لجنة القضايا الاجتماعية والاقتصادية

أو حجزت لجنة القضايا الاجتماعية والاقتصادية توصياتها في النقط التالية :

- ♦ ضرورة الحرص على تعليم اللغة الأصلية لكل فرد مسلم.
- ♦ ضرورة التشجيع على تنظيم الدروس الإضافية حتى يتمكن الأطفال من مسيرة التعليم بما يلزم من الجد والمثابرة.
- ♦ ضرورة محاربة ظواهر الإلزواء والانغلاق على النفس.
- ♦ ضرورة إيجاد المنظمات المختصة التي تمكّن الشباب من التهيئة والانغماس في سوق العمل وفي نشاط الحياة الاجتماعية.
- ♦ يلاحظ غياب التعاونيات، وغياب الإحصائيات حول الجالية المسلمة، وغياب التعاون والتآزر في سوق العمل بين مختلف الفئات المسلمة.

8. لجنة الحوار مع الديانات

أما اللجنة الأخيرة، فمضمون توصياتها وملاحظاتها كالتالي :

- ♦ يلاحظ الغياب شبه التام للحوار بين المسلمين وغيرهم من الديانات الأخرى.
- ♦ هناك حاجة ماسة إلى تحديد معنى الحوار ومفهومه.
- ♦ هناك حاجة إلى توضيح العوائق والمشاكل التي تحول دون الحوار الجاد بين الجهات المسلمة وتنظيماتها، وبين الديانات الأخرى ومؤسساتها وتنظيماتها.
- ♦ هنالك غياب التواصل بين المسلمين وبين غيرهم من الديانات الأخرى، فإذا كان الحوار شبه غائب بين الجيل الأول من المهاجرين وباقى الديانات، فإن على الأجيال الأخرى، من الجيل الثاني والثالث وما سيعقبهما أن يقيموا حوارا قويا ومتينا بين الطوائف الدينية الأخرى التي تشكل معهم النسيج الاجتماعي لهذا البلد.

♦ هناك آراء جاهزة ومبكرة، سواء لدى المسلمين أو لدى غير المسلمين، تعكر علاقات التكافل والتآزر بين باقى الديانات

والفلسفات والإسلام. غير المسلمين يرون في أهل الإسلام أصحاب تطرف، والمسلمون يرون أن الآخرين كفرا لا مجال للتعامل معهم إلا في حدود. وحتى تتجاوز مثل هذه العقبات، توصي اللجنة بتنظيم لقاءات بين مثلي مختلف الديانات يتوج عنها حوار مكشف وفاعل وهادف، وهذا يحتاج إلى إنشاء جان و هيأت تهتم بهذه القضايا.

♦ توصي اللجنة بالحرص على إيجاد وتشجيع قنوات للإخبار والنشر والإعلام لتعزيز الحوار، وتمكين المسلمين من أن يباشروا الحوار الفاعل مع باقى الهيئات الدينية الأخرى التي يتشكل منها المجتمع البلجيكي.

حليلة عمل اللجان

بعد أن فرغ المقرر من عرض أعمال اللجان، انتوى إلى المنصة الأستاذ يحيى ميشو، ليقدم خلاصة عامة عن عمل هذه اللجان، وخلاصة عامة عن عمل المؤتمر بأكمله. فأشار إلى أن المؤتمر كان ناجحا، وأنه أدى الهدف المقصود منه، وبلغ ما كان يصبو إليه، منبهًا إلى أن المجلس لا يريد أن يكون بدليلا عن المساجد، ولا أن يعرض الجمعيات، ولن يستطيع ذلك. لكن المجلس يرغب في أن يكون منسقا، وأن يكون مخططًا، وأن يكون إسمنت تلاميذ وتفاعل بين مختلف هذه المساجد والجمعيات الخدمية المسلمين.

المجلس لا يسعى يقول الأستاذ ميشو لأن يكون معيضا عن المسلمين، بل على كل مسلم أن يقوم بواجبه اليومي. أما المجلس فلا يمكنه إلا أن يكتفى بدور المنسق، ودور العامل الفاعل الذي هو مستعد لتلقي مختلف الطلبات، وتقديم ما يستطيع من المساعدات لخدمة الإسلام والمسلمين.

أما التوصيات العامة التي تم استخلاصها، فمضمونها يقول الأستاذ ميشو أن هناك حاجة عامة للتقويم، وحاجة ماسة للتدريب، وحاجة ماسة للقاء والحوار، وحاجة ماسة لمحو الأمية، وحاجة ماسة لتكيف الندوات. وهذا يوحى بأن هنالك حاجة للأطر، وحاجة للمسؤولين، وحاجة إلى الأئمة الغيورين، وحاجة إلى الأكفاء من الأساتذة ومن المسؤولين عن التربية. ويتبين أن الأولوية في أن ينبع وأن نكشف الخدمات والوسائل الضرورية للاستجابة لهذه الطلبات، وأن نعكف على سد هذه الرغبات في مجالات التقويم والتربية.

فالسلطات البلجيكية الحاضر بعضها مطلوب منها أن تعنى هذا الحضور، وتعي المد الحاضر داخل المجتمع المسلم في بلجيكا لتلك الضرورة الاقتصادية والسياسية لتدبير قضايا هذه الجالية المسلمة، والذي لا يمكن أن يتم إلا بحوار مكشف، وانكباب على الملفات الاجتماعية المتعلقة بالديانة الإسلامية.

وختم الأستاذ ميشو عرض حلليلة المؤتمر بالإشارة إلى أن هناك طلبات وجهت للمجلس لكي يكون أكثر حضورا في

بالصورة الناصعة الواضحة التي ينبغي أن يكون عليها، والتي هي صورته الحقيقة.

ونحن كذلك لنا في خاتمة هذه الأشغال مجموعة من الملاحظات عن المؤثر وأعماله:

1- مما يعب على المؤثر غياب العروض المكتوبة. فالارتجال كان السمة الغالبة للخطب الصادرة من مختلف من دعوا المنصة في الجزء الأول من النهار، وبذلك فقد الكثير منها سلاسة الخطاب وتركيز العبارة، إلا ما كان من النص الوارد عن مثل الديانة اليهودية: فقد كان مكتوباً، فليرجع بخصوص مضمونه إلى ما سبق فوقه من الإشارة. ولعل فيما هو معروض بهذا العدد الخاص من مجلة المجلس تعويض عن ذلك النقص المتمثل في توفير العروض مكتوبة زمن المؤثر.

2- إن ماعبرت عنه اللجان هو جهد، مهما بلغ من المستوى، لا يمكنه سلخه عن الفورية التي أملته، وظرفية التفكير التي فجرته. وهذا يحتاج كل جانب من الجوانب المتطرق إليها في المؤثر إلى التشخيص الدقيق، وتأسيس اللجان القارة التي يعهد لها بدراسة كل موضوع بما يستلزم الظرف العملي والتطور العلمي وإشباع الرغبات المعرفية من الدقة والضبط والشمولية، وإيفائه حقه من البحث والتحليل من جميع جوانبه، وإجراء الحوارات والمناقشات الضرورية مع الفاعلين المعنيين، وإخراج ذلك لحيز الوجود في شكل كراسات مطبوعة، أو على صفحات هذه المجلة الفتية، لإثراء مجال التباحث حول أقوام وأسلن السبل لمعالجة المشاكل القائمة، وإزاحة العقبات القائمة في وجه حسن السير وكمال الأداء. بمختلف الميادين المدرosa.

كما يمكن أن يتدب للبحث المعمق في تلك القضايا باحثون جامعيون وأكاديميون معروفون بتراثهم الفكري، أو طلاب متحفظون مثل ذلك في دراساتهم الجامعية، إضافة إلى التشريح على التعريف بما دونه من التحاليل والدراسات، وما نشر من التقارير والأبحاث، والموزع بين الكتب والمحاضرات والدوريات، حتى يعمم مضمونه، ويتحقق نقداً وتقييماً ليعمه وسميه.

3- بديهي أن اللجان قد فاتها من حسن المعالجة ما لم يكن في مستطاعها إداركه، نظراً للظرفية التي سادت اشتغالها، والفورية التي عاجلت بها موضوعاتها، ومستوى كفاءة المقرر في التبليغ عن مضمون تداولاتها. لكن حسبها ما أثمرت، وحسب مقرريها ما دونه.

فلم يكن المؤثر يتضرر أكثر مما أمدته به تلك اللجان، ونحسب المجلس بعدما توفر له من الزاد عبر هذه اللجان لم يعد في حل من عقد ندوات ومؤتمرات مركزية وجهوية و محلية، دورية وسنوية، حول كل موضوع من المواضيع

المجتمع المسلم، وأمن وجوداً، وأقوى تنسيقاً، وأوفر وسائل لخدمة المسلمين بهذه البلد. كما أن عليه أن يتحرر من خلال تكشف اتصالاته بالصالح المختصة، ومن خلال ما هو متاح له من أجل التعبير عن رغبته في الاعتراف به كممثل للمسلمين، ويدل ما في وسعه لكي يكون هناك جهاز مثل للمسلمين يخدمهم ويسعى لإيجاد الهيئات والمصالح الضرورية المطلة من الدولة لرعاية القضايا الدينية للمجتمع المسلم بليجيكا.

ثم تلا المنصة في كلمة ختامية الدكتور ياسين بياسن، رئيس المجلس الأعلى ل الإسلامي بليجيكا، ليشكر المؤثرين ويشكر الحاضرين على ما قدموه من اقتراحات وتوجيهات، وعلى استجابتهم لهذا المؤثر، واعداً إياهم بأنه لن يكون الأول من نوعه، وأن المجلس سيعمل على تنفيذ التوصيات وعلى تنظيم نفسه لكي يستجيب لل الحاجيات، وعلى تنظيم مزيد من اللقاءات والندوات والمؤتمرات لخدمة الجالية المسلمة.

في الفتم كانت المحاضرة

بعد نهاية أشغال المؤثر، جعل المنظمون خاتمة مؤتمرهم محاضرة باللغة الفرنسية ألقاها الأستاذ طارق رمضان من سويسرا، تطرق فيها إلى أننا كمسلمين علينا واجبات قبل أن تكون لنا حقوق، وأن حضور المسلمين لا يمكن أن يعتمد فيه على الأرقام والأعداد بالنسبة للأشخاص، وإنما ينبغي أن نعيره معيار الأخلاق والسلوك والمعاملات.

هناك تخوف من الإسلام يقول المحاضر، علينا أن نحسن تمثيل الإسلام، الإسلام كما نريده وكما ننظم إليه. علينا أن نعرف كيف نكون مفتاحين، ولا أن ننزوبي ونكون منغلقين. نعم، لا يمكن أن نبعد خلفيات الضمير الغربي، وعلينا أن نتعامل معها ونعرف تاريخ الغرب. لنعرف أن الحرية فيه لم يتمكن منها إلا بعد جهد وصراع مرير، فلهذا فإن أي مساس بها يعتبر مساساً بشيء يكن له الغرب قداسة واحتراماً عظيمـاً، لعلمه أنه لم ينله إلا بذل الجهد الكبير، وتحمل الصنـك العظيمـ.

ودعى الأستاذ المحاضر الحاضرين إلى التعرُّف على خصائص المجتمع الذي يعيشون فيه، فلهم حق معرفة هذه الخصائص. والمسلم الحقيقي لا يدخل في صراع مع مجتمعه، بل يحاول أن يعرفه ويعرف عليه ويعرف نفسه به. ينبغي أن يكون الإسلام حياً فينا، وأن نكون أصحاب حوار دائم وبناء بما يمكن من إذابة الجليد بيننا وبين الذين يخالفونـا في الـديانـة. فالـذـي يـنكـمـشـ عـلـىـ ذاتـهـ لاـ يـكـنـ أـنـ يـكـونـ إـيجـاـياـ. وـنـحـنـ دـيـنـاـ لـاـ يـدـفـعـنـاـ إـلـىـ الـانـزـواـءـ، بلـ يـجـعـلـنـاـ أـصـحـابـ عـطـاءـ وـذـوـيـ مـرـدـودـيـةـ.

ثم ختم الأستاذ رمضان محاضرته بكلمة رقيقة دعى فيها الحاضرين بشكل مؤثر إلى أن يكونوا أصحاب قيم، وإلى أن يتميز الشباب بالخلق السليم والمنهج القويم لإثبات وجود الإسلام



بالمراجعة، من خلال عمليات الحوار الدائم والتدافع السليم التي أسّها فكر، وقومها فكر، وعطاؤها بالأساس فكر.

المدرسة لاكتشاف ما لم يتطرق إليه وتعزيز البحث فيما هو متوفّر لديه.

فالأدوات التي دعى المؤقر لاستعمالها هي أدوات فكرية محضة، تأمل وتقيم واستشراف، وهي عمليات مستمرة الفعل دائمة العطاء، لا تقدّم بتعطيل أحدٍ منها. والزمن لا سبيل لتوقيفه أو السعي إلى خزنه وتوفيره. والمستقبل إما أن تساهم في صنعه، أو ترغم على قبول ما صنع لك منه. وبغياب التأمل الدائم في الماضي القريب، وتقيم النجاح فيه، وتأمل الحاضر وتقيم ما ينجح فيه، وتأمل المستقبل واستشراف ما قد ينجح فيه، تغيب الحركة الفاعلة لصناعة الغد المشرق، وتضييع تلك الأمانة المتمثلة في "حسن ممارسة تمثيل المسلمين" التي على عاتقنا، لنكتفي عنها بمواسم عشرية أو عشرينية، نلقى فيها باللوم على الزمن التعيس وكيد الآخر. وما أصدق الإمام الشافعي رحمة الله إذ قال:

نعيّب زماننا والعيبُ فينا وما لزمانا عيّب سِوانا

تلك كانت مضمون المؤتمر وعطاءاته. بل لم يتوقف فيض
العطاء بانتهاء أشغاله، إذ تلاه في الأيام التي تلت جدال ونقاش
حول ما نطق وقيل في دوليه، ودور المجلس الأعلى ونشاطه أو
غيابه في واقع الساحة الإسلامية ببلجيكا. ولعل ما ذكرى لظى
النقاشات وزاد من حدتها بزوغ تلك الهيئة المرساة
(Constituante) ومجلسها التنفيذي الذي جاءت رسالة وزير
العدل في افتتاح المؤتمر لتبشر بالموافقة عليه، والتي ينص فيها السيد
الوزير على موافقته المبدئية على مكتب تنفيذي للهيئة التي أست
منذ السنة الماضية في كواليس إدارة العدل البلجيكية وبعض
الفاعليات والشخصيات داخل الجالية المسلمة، منهم أعضاء
بالمجلس الأعلى لمسلمي بلجيكا.

طبعاً لم يُعرض العديد أسماء من ذكرها من 16 فرداً المكونين لذلك المكتب، مع الاحتفاظ بمنصب شاغر إلى أن يُبيَث في صاحبه. وتَدَافَعَ الآراء بين من يُدافِعُ ومن يُشَجِّبُ، وانتقل ذلك إلى الإذاعة على الموجة العربية، واستمر التداول بين بعض العاملين بالحقل الإسلامي حتى حسم النقاش تقريراً بندوة حضرها أعضاء بال مجلس الأعلى لسلمي بلجيـكا يوم الأحد ليلاً بالإذاعة العربية، لم تأت بشيء جديد، لكنها حاولت أن تجيب على أسئلة بعض المستمعين، وتبَرَز نشاط المجلس الأعلى لسلمي بلجيـكا، وتَنَاهَى المؤتمر الذي عقده حول الذكرى العشرين لاعتراف بلجيـكا بإدارات وتنظيم الديانة الإسلامية بيـلـهـا.

كما عرفت ساحة الإعلام بيلجيكا بعد انعقاد المؤتمر
حركة دائمة تجلت في إعادة استثمار الجهات الإعلامية للخبر
الإسلامي، علماً أن هذا العدد من المجلة قد دونَ معظم ما صدر في
هذا الصدد. فكان أشد ما أثار انتباها شخصياً هو ذلك المقال⁽⁶⁾
المستفز للمسلم، والذي يدعوه للبوج بما في القلب من المكنون،
يدل على اكتفائيه لتعضيـ رـسـالـتـهـ وـيرـأـيـعـ عملـهـ بالـتـعـيمـ عنـ المـضـمـونـ.

4- بجانب الكفاءة الإدارية، يحتاج المجلس إلى البرهنة على مرجعيته الدينية، وهي الحلقة الضعيفة في تركيباته، رغم أنه يضم ضمن عناصره علماء أجياله برهنوا على علو مكانتهم الفقهية ورسوخ نبوغهم العلمي. وستظل ضعيفة ما لم يسعى المجلس لتأسيس ما أدعوه بناتخ التكوين، أو "البيئة التكوينية" (environement formatif)، والتي لا سبيل لإخراجها حيز الوجود دون دورات تدريبية لجمهور الأساتذة والأئمة والمرشدين الاجتماعيين، وتأسيس مؤسسات جهوية ومركزية للقيام بمهام التدريب والتكوين في شتى الحالات المتعلقة بالجانب الديني الصرف لعقيدتنا السمحنة داخل المناخ القانوني والدستوري، إسوة بالمؤسسات والهيئات الدينية الأخرى النشطة داخل التراب البلجيكي.

5- إن كان المجلس ظرف الولادة - إذ طالت مدة الحمل به منذ 1978 فلما ضاقت الرحم به، أوضاع بها، بزغ على الساحة مطالبًا بحقه في الوجود - فإنه ظرف التاريخ كذلك. فله أجل معلوم لا بد بالغه، هو ولا شك لصيق بظهور هيئة رسمية معترف بها تمثل المسلمين. نقول ذلك لتوكيد على أن المجلس في مجال استشراف المستقبل مطالب بالتعمن في الغد القريب، والتخطيط لمستقبلات قصيرة المدى. ومن بعد عن الغاية خوضه في عمليات التخطيط للغد بعيد إلا بما يتضمن تهيئة المناخ المرجوة، والمستوحة من المهدف الأساس للمؤتمر الفاتح.

6- تعتبر المؤتمر في يومه الكثيف الأشغال، فاتحة لأعمال مازالت مستمرة، ولهذا فهو غير منبر هذه المجلة وغير قنوات غيرها مازال مفتوحا داعيا مختلف الفاعليات للمساهمة وإثراء مواد المناقشة بالنقاش والتحليل. فلعن كان قد دخل التاريخ من بابه الواسع، فهو لم يخرج من دائرة التاريخ بعد نظرا لامتداده عبر بوابة الحاضر في المستقبل.

ومadam عطاء المؤتمر في معظمها - إلى جنب المواقف والقرارات - مادة فكرية بأساس، فلا أرى مجالاً لكتابتها جلساته أرحب من هذا الصرح الإعلامي التمثيل في هذه الجملة الدائعة الصيت إن شاء الله. ولذا لم أتردد في نعت المؤتمر بالفاتح، لأنني أراه فاتحة لمؤتمرات تليه هي أكبر أهمية وأنقل حملها.

فقد ضل من اعتبر أن أقلام المؤتمر قد جفت، أو أن مواضيع نقاشه قد طويت. ومن الضلال البعيد الاكتفاء بمؤتمرات عشرية أو عشرينية. بل يكفي ما ضاع من الوقت، ولتعقد مؤتمرات جهوية ومركزية موزعة زمنياً على برنامج سنوي. ذلك أن الفكر سبق على العمل. ولنا الإسوة فيما يجري بيدي اليب الوجهة الأوروبية حيث استبدلت المواجهة

بتصدره البيان الشيوعي سنة 1848. فلم يكن عقد الجمع المسكوني "فاتيكان الأول" (Concile Vatican I) سنة 1869 يعيد عنها، إذ بدأت مشاراته وعمليات الإعداد له منذ تاريخ إصدارها، حيث سعى منظمه، وعلى رأسهم نفس البابا المذكور الذي دعا له وترأسه، لإصدار قرار "عصمة البابا" للحسن في وجه تيارات الحداثة التي أرادت أن تلغي نفوذه الاجتماعي ودوره السياسي.

وذلك المعرفة ضرورية لفهم ظروف انتقال قانون "مصنع الكنيسة" (*Fabrique des églises*) سنة 1870 ، أي في السنة التي ختم فيها الجمع على إثر الحرب الفرنسية الألمانية دون أن يتم أشغاله، وهو القانون الذي قام قانون 1974 المتعلق بالديانة الإسلامية بتعديل قسمه الثالث. فكل معالجة لهذا القانون خارج ذلك الإطار، وبعيداً عن صعود التياريات المسيحية للحكم بأغلبية ساحقة من 1870 إلى 1878، يُعدُّ فجوة على الباحث سُدها إن عزم على الحزم والجد. مما يلزم من التحليل التاريخي والتدقيق التاريخي، وهو ما قد نعود له في دراسة أخرى هي على قيد الإعداد.

ونكتفي حتى لا نطيل على القارئ بالإشارة إلى أن هذا الصراع الفكري والإيديولوجي ظل مصاحباً لحركة الفكر والثقافة في البلدان الغربية إلى حدود قيام الحرب العالمية الثانية. بل لم تختمد لطاه إلا بعد عقد الكنيسة بجمع مسكوني متضملاً لسلفه عرف باسم "فاتيكان الثاني" (Concile Vatican II) ما بين 1962 و 1965 ليتّبع عنه بيان حول "الحرية الدينية" بتاريخ 7 ديسمبر 1965 (*Decret sur la liberté religieuse : Dignitatis humanae*) لم يبلِّغ درجة الظهور أو الدستور ، لكن يعتبر من حيث مضمونه طلاقاً نخاله بائنا مع مدونة الأفكار والأقوال المحظورة السالفة الذكر، والتي تسعى اليوم جهات غربية تصوغ الفكر وتدفع جهة صناعة القرار السياسي إلى إخراج طبعة جديدة لها تخص جمهور المسلمين، تقتَّن شكل منطوقهم وحدود حرية آفاق فكرهم.

لكن مهما بلغ النقد لواقع المسلمين، والتطرف الشديد من لدى البعض من مستقبل علاقتهم بالمجتمع، فإن علينا أن نلتمس العذر للناقد، لأن مجتمعات الغرب عاشت صراعات وحروباً حتى تتحقق لأفرادها الحرية الفكرية والسياسية التي يتمتعون بها الآن، والتي يعترف بفضلها حتى رجال الدين منهم. ففي ملف حديث خاص عن الإسلام، افتتح إحدى المجالات المسيحية الإرسالية عددها بالكلمات التالية:

"بوضعنا الدين في المجال الشخصي، وكوننا شديدو الحساسية لكل تدخل لأية سلطة أدية، فإننا لا نفهم جيداً كون آخرين لا يقبلون بما نعده اليوم من البديهيات. فلقد نلنا حريةنا بالحرب ضد السلطات الدينية، ولم يكن ذلك بالشيء السهل" (7)

وبعيداً عن الرد على ما يقال ضد الإسلام وادعاء خنقه للحرريات، نكتفي هنا بالإشارة إلى أننا لا نرى تأكيد المجلس على

نكن له في مجال البحث العلمي المكانة والتقدير، مهما تزلف في نشاطه لفرض نفسه كخبير. فتأكد أننا نتلاقى في هضاب وحقول من المعاجلة والتحليل، وأؤكد أننا نختلف حول دلائلها ونتائجها في الفهم والتأنويل. لكن حسبنا لتبرير الخلاف وشرعية الاختلاف أننا نرى في الإسلام رسالة، وفي معالجة قضيائنا أهلة أمانة، وهو يرى مع الاعتراف له بالأحقية والحرية أنه مادة عمل ومحال تخصص وزاد خبرة، تملّي ديناميكية معالجة قضيائنا طموحات الحرفة وتطلعات المهنة.

ومضمون مقاله أنه يرى بأننا لا نصدع بكل شيء، ويظن أننا نخفى ما لا نعلن، وأن الوقت قد آن للإفصاح عمّا بالضمائر، إذ أننا سنظل محل اتهام إلى أن تبلغ السرائر. وحتى نتمتع بصدق البراءة، علينا بفتح القلوب وإخراج ما بها على واضحة النهار. ونطمئن مثله أن ليس بالقلوب إلا إيمان يتوق نحو التقوية على ضعف، ورحمة بالخلق هي من رصين بعدها الإنساني، ونخَّام طاقتنا الفطرية.

أو كلما راحت عنا إشاعة أو حيك حول ديننا باطل كان علينا بيان الحق ودمغ الباطل؟ إذا لاستهلك الجهد ونفذت الطاقة في غير طائل. فليس كل ما هو باطل قد لزم نكرانه، ولا ما لزم نكرانه قد آن أوانه، ولا ما آن أوانه قد حضر رجاله.

وكنت أظن أن أهل الغرب قد اصطلوا بنار أججوها في أزمة من الأمس القريب، تجلت صراعاً مريضاً بين الحداثة والدين، حتى أضحي التعبير عن ما في الضمير مقتناً، عبر مدونة المحظورات من الأفكار والمقولات، حرام على ضمير المرء زمانٍ وعقله أن يخطر به ما قد يقرب منها أو يكون شبهاً بها، وخليهم قد سدوا أبواب تلك الفتنة. فإذا بالشرطة الفكرية والمذهبية تحت غطاء الحرية تطمح اليوم في استعادة النفوذ من خلال السعي لتنظير جديد، مشربة الأعناق نحو ما يمكن استدراكه من الجد المفقود.

وحتى يفهم القارئ ما نعنيه بخطوات استعادة النفوذ للشرطة الفكرية المكبلة باسم الحرية للحرية، نستصحبه معنا جولة قصيرة في التاريخ غير البعيد، وبالضبط في النصف الثاني من القرن الماضي الميلادي. فقد أصدرت السلطات الكنيسة في ستينيات ذلك القرن ما يمكننا تسميته بمدونة المحظورات، عُرفت في لغات الغرب باسم (*Syllabus*)، وهي عبارة عن قائمة من الأقوال والأفكار تتضمن ثمانين مقوله أو فكرة يحرم تحريراً باتاً على معنقي الديانة المسيحية في بعدها الكاثوليكي النطق بأحدتها أو التفكير على نطها ونهجها. وكانت قد صدرت هذه القائمة عن البابا بيا التاسع (Pie IX) كملحق لرسالته التوجيهية (*Quanta cura*) بتاريخ 8 ديسمبر 1864.

ومعرفة مضمون هذه المدونة تكمن من معرفة الصراع الدائر بين الحداثة والدين الذي عاشته الديار الغربية في النصف الثاني من القرن الماضي، والذي اشتهد فيه وثيرة ذلك الصراع

الدفاع على الحريات، واحترام مكونات المجتمع البليجيكى، وتجنب إثارة الحساسيات، إلا دعامة تصب في صياغة إسلام نقى من الدخن، متجلانس في طبعه الأصيل وخام عطائه الفطري، مع الأبعاد الإنسانية والمرتكزات الديموقراطية للمجتمع البليجيكى.

- وأما الثاني فقيقين ببيانين :
- * أن أعظم ما فجر نشاط المؤتمر إيمان أهله بفحواه.
- * وأن أكبر ما ساهم في نجاح أعماله يقينٌ من حجوا إليه بجدواه.
- وأما الثالث فأرمز إليه خاتماً قراءتي في نقاط ثلاث :
 - * أعجب ما في هذا الموسم الوجيز قلة زرعه ووفرة حصاده. وكم عرض الأنامل الغائظون.
 - * وإن تعجب فعجب عدم مغادرة معظم الحضور القاعة طوال جلسات المؤتمر ولو في ساعات الخطب الشكلية، إذ قلما يخشى الناس بالمؤتمرات خطب الافتتاح والاختتام. ولكن أدهش المتبعون.
 - * مؤتمر بين ضحى ومغرب من نهار، يجيء على عجل ما لا يخصى من الشمار. ويكون قد استفاق المسلمون.

بروكسيـل

شهران 1415 / يناير 1994

أوتسامات شخصية

لم تكن هذه الارتسامات التي عبرت عنها بعيدة عن معاناة ذاتية وفكرية كانت لانباتها وتجليها من خيرة الدوافع. فلقد كان الأمل وأنا أشارك في المؤتمر أن أحسم في عقده بالاستفادة، لي شخصياً من جهة، وللإسلام والمسلمين من جهة ثانية، ولعامة أهل البلد من جهة ثالثة. كان تخويفي من عدم بخواه ضعيفاً، لكن ظللت ألتعمس في الإعداد له حظوظ فوزه، لأواري عن نفسي القلق عليه، وفي اليد دعوة لنشاط علمي مكثف بكلدا في نفس الزمن، أسأعل حين التردد أي النشاطين أولى بالحضور والفع، رغم أن لأصحاب الدعوة حقاً على لتابعة برنامج علمي شاركت في تأسيسه في السنة الفارطة في أكبر الجامعات الكندية، يدعوه النفس لترجمة كفته.

فأثرت السياسة على العلم. وأمد البصر بعد الخيار ذهنياً جهة المتبقى من محفوظ الذكرة والتاريخ من أنشطة حياتي الاجتماعية والإدارية، فأجدني دهراً من حياتي من الأولى فترت، وفي الثاني استثمرت. ثم أصارع الحيرة من أمري بأن ألتعمس العذر لهذا الانقلاب – وإن لم يكن العلم غائباً عن المؤتمر – في تردید القول بأن لو لم يكن من حضوري إلا تسجيل هذه الارتسامات، ونشرها على هذه الصفحات، فلنعمل السياسة المحفزة للعلم.

فلو لم أكن حاضراً ووصف لي نشاط المؤتمر لقلت في كلام الواصف تكليف. أو جاءعني من يشهد أن مسامين المؤتمر مع غياب العروض المكتوبة، والبحوث العميقة المدققة، قد لقيت ترحاباً وإعجاباً، لقلت في الشهادة ترکف. لكن بمضوري لمست مباركة ربانية لعمل خطّ له على مبلغ الجهد، وتأييدها إلهاً لظاهرة أعدّ لها على قدر المستطاع، فحجّ جهور الفاعلين إليها زرافات.

غادرت المؤتمر بعد أن تابعت أشغاله من البدء إلى الخاتم وكان زمنه لم يستغرق إلا ساعة، وفي ذهني ذهول ويقين وتعجب.

• فاما الأول فذهولي أمام حصيلتين :

- * ساد مناخ الاهتمام الأشغال، رغم كون ما قيل – على أهميته - لم يكن فيه سحر البيان.
- * حفّ حسن المتابعة الأعمال، رغم اختلاف الألسن واستحالاته عموم سحر اللسان.

أما توجيهه بالاعتراف الرئيسي فممكنٌ من تصاعد غرفة حتى يبلغ أعلى مستويات الإتقان المثمر من حسن إلى أحسن، ومساهم في تزايد تقدُّمه داخل مرتبات الممارسة تدبرها وإشرافها وإنجازها من إتقان إلى أتقن. علماً أنه ليس مانعاً في حالة غيابه وغياب الدعم من المال العام المصاحب له من بلوغ الطموح إلى درجات مقبولة من الحسن، ومستويات مشرفة من الإتقان، رغم وعورة السير وتعثر الخطى أمام حدة العقبات والصعوبات.

ولستنا هنا بقصد تقديم درس في مادة المصطلح السياسي ودلاته في علم الاجتماع الديني، ولكننا نتوخى المممس في أذن قيادة المجلس بأن حسن الممارسة بأبعادها التي ذكرنا ممكِّن لا محالة من النفوذ داخل الجالية المسلمة، ومؤهل ولا ريب قيادة المجلس عن جدارة بنوع من الصلاحية للكلام باسم الجالية المسلمة.

(5) الذات والأخر هنا ليسا جسدين منفصلين، بل هما متلاحمان بما يكفل التعايش والتكافل والتآزر والمحوار والاحترام المتداول للدفاع عن مرتکزات البلد وأمنه، والسعى لرغده بالمشاركة مع مختلف الفاعليات في صناعة التاريخ وتقرير المصير. لكن للذات خصوصياتها الدينية التي تميزها عن الآخر داخل مناخ التلامس والتكافل والتآزر كما يتميز هو في خصوصياته عنها، بشكل يشري تعدد التعبير الثقافي، ويساهم في بناء فسيفساء النسيج الاجتماعي التي مع الحفاظ على كمالية الصورة، توحى كلما نشطت أطرافها وعناصرها المتراسقة بجمالية الرؤون، وبديع التجانس والتلاقي.

(6) يعني هنا الباحث فيليس داسيطرو (*Félice Dassetto*) ومقاله المستفز بجريدة المساء (*Le Soir*) بتاريخ 29 ديسمبر 1994، والعنوان "رهانات حول الإسلام البلجيكي والأوروبي" (*Enjeux autour de l'islam belge et européen*).

(7) انظر في هذا الصدد العدد الخاص حول "رسالة الإسلام" الذي أصدرته مجلة "الكنيسة والتبشير" (*Eglise et Mission*), عدد 275، سبتمبر 1994، ص 2.

(2) يعني بوحدة الثقافة وحدة التعبير الثقافي، لا وحدة الأصل الذي هو واحد لكل الثقافات الإسلامية نظراً لاستمداده من عقيدة واحدة وشريعة واحدة. فمثلًا كل المسلمين يصومون رمضان، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لا يختلفون في ذلك، لكن لكل شعب من شعوب الإسلام ألوانه وطباعه وعرفه في إعداد مائدة الطعام فطوراً وسحوراً. كما أن لكل منهم أسلبه وأفراده الخاصة بهذا الشهر الكريم.

فهم موحدون في الصوم والفتراء والابتهاج بهذه الشهور وإكتار العبادة فيه. أما أشكال ذلك الابتهاج، والرموز الثقافية المتعلقة بالطعام وإعداده والاجتماع حوله، وأنواع الأفراح المصاحبة لرمضان وعيد الفطر، فهي متعددة تتسع دائرة الشرع لتحقيقها جميعاً، وتلك خاصية من خصوصيات الإسلام الذي يُهرّن الباطل وينفي الخبث، في الوقت التي يُقْيَّي فيها على ألوان التعبير الثقافي والاجتماعي المتحانس مع الفطرة بتعددتها وتنوعها الطبيعي الناتج عن تعدد الألسن والألوان وأنماط الحياة. بل يفسح لها مجال التطور والتبلور، ويعكّرها من النهل من رصيد طاقاته الضخم، داخل دائرة المباح الفسيحة.

(3) نريد بمصطلح "الإمام" هنا إمام المسجد الذي يُؤمِّن الناس في الصلوات المكتوبة، لا "إمام" الأمة الذي يرمِّزُ فيتراث الإسلامي - وخاصة عند الشيعة - إلى المرجع الأعلى للسلطة الدينية. كما أن لفظ الإمام يصرف كذلك للإشارة لدرجة علمية تضفي لقب الإمام على صاحبها للدلالة على رسوخ علمه، مثل نعت شيخ الإسلام أبو حامد الغزالى بالإمام الغزالى، أو شيخه الجويني بإمام الحرمين، مع أنه لم يكن إماماً مداوماً لأى من الحرمين الشريفين، بل أقام بهما أربع سنوات يدرس ويفتى ويصنف، دون أن تستبعد أنه كان يوم بين الحين والآخر بالناس. لكن تسميته بإمام الحرمين هي على وجه التفخيم، لا كونه أمّاً بالناس في الحرمين. فلقد كان متقدماً على علمائهم مرجحاً في الفتوى فيهما، فكان الإمام القدوة في العلم والفتوى لهما ولغيرهما، فسمى بإمام الحرمين تبحيلاً وتفخيمياً لغزاره علمه ورسوخ معرفته.

والعارفون باللغة يعلمون أن الإمامة مصدر لفعل أمّ يُؤمِّن. ومن عمارتها يقتدى به ويُؤمِّن به فهو إمام. فقد يقتدى به في الصلاة فهو إمام مسجد، كما يقتدى به في الفتوى والتوجيه وتدبير الأحوال الشرعية فهو إمام في جانب تخصصه الشرعي، لا لكونه قد درسه، ولكن لكونه في أموره وقضاياها مرجع علمي.

(4) إن كل لفظة من هذه الكلمة دلالتها اللغوية والسياسية. فاللفاظ الحسن والممارسة والمتمثل لم ترد بشكل اعتباطي، وإنما لها علاقة عضوية وديناميكية في ترتيب متحانس. فالتمثيل لا يُنزل على الواقع إلا بالممارسة. والممارسة لا سبيل لإتقانها بدون التحلّي بمحليات الحسن في القول والعمل. ذلك أن تمثيل المسلمين في بلجيكا وغيرها عمل شاق يحتاج إلى الظهور الصبور والصَّدر الرَّحِب، ينفر إذا رام الاستقامة من القلق والغضب في القول، وينأى إذا سلك نهج الحق عن التسبيب أو الابتزاز في العمل.



S O M M A I R E

ÉDITORIAL

LES INFOS DU CONSEIL SUPÉRIEUR DES MUSULMANS DE BELGIQUE

<i>La commission des mosquées -</i>	لجنة المساجد	3
<i>La nouvelle commission féminine du Conseil Supérieur</i>		4
<i>Infos du Conseil provincial du culte islamique de Liège : Un Te Deum particulier à Liège</i>		4
<i>Avis de la Commission enseignement : Appel d'offre pour des manuels de religion islamique pour le niveau primaire</i>		5

L'ISLAM BELGE

Actes du premier Congrès du Conseil Supérieur des Musulmans de Belgique, Bruxelles, 5.11.1994 : 20 ans d'Islam en Belgique : bilan et prospective

<i>1974-1994, et après ? Programme</i>		8
<i>Allocution du Dr Y. Beyens, Président du Conseil Supérieur</i>		9
<i>Approches musulmanes : M. Boulif, Dr. O. Van den Broeck, H. Tunç, M. Kilani</i>		10
<i>Approches extérieures :</i>		18
<i>Religions et philosophies : L. Vermeir, Dr. Ph. Grollet, Pr. G. Schnek</i>		18
<i>Partis politiques : H. Van Rompaey, I. Durant</i>		23
<i>Le débat en ateliers</i>		25
<i>Y. Michot : Synthèse des ateliers</i>		33
Târiq Ramadân		33
Pour une laïcité ouverte		33
Les religions diffèrent par les références et l'histoire		35
La laïcité, l'islamisme, le pouvoir		35
Pas de religion à l'école laïque : sont-ils donc libres de choisir ?		36
<i>B. Ngadi : Impressions de congressiste</i>		37

محمد بريش : قراءة شاملة ونقدية لعمالاً وتمر ألاّول

المجلس الأعلى الإسلامي بلجيكا

Du « Comité technique » à l' « Exécutif » : une lettre du Ministre de la Justice

Le scandale Télémoustique

M. Laroussi : ... لا إسلام في بلجيكا أم لا إسلام البلجيكي ... (L'Islam en Belgique ou l'Islam belge...?)

SERVICES DE LA COMMUNAUTÉ : Moustafa DÖNMEZ : *Medîne Islam Üniversitesi*

BOUTIQUE SOCIO-JURIDIQUE : Philippe LARDINOIS : *Le regroupement familial : II. Sanctions et recours*

DERNIÈRE MINUTE : Des profs de religion islamique limogés pour « RAISON DE SÛRETÉ PUBLIQUE »

REVUE DE PRESSE

LECTURES

AGENDA

COURRIER DES LECTEURS

